شرح العقيدة الطحاوية

المسماة "بيـــان أهـل السنـــة والجـماعـة"

للعلامة الفقيه المحقق عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي

المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ

إصدار

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية – فلسطين

استهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد،،،

فاعلم أخي القارئ أن كتاب الطحاوية هذا الذي بين أيدينا للإمام سيدي أبو جعفر الطحاوي الحنفي وكذلك شرح الطحاوية للإمام الميداني الحنفي لهُما من أنفس كتب أهل السنة والجماعة على مذهب السادة الحنفية والذي اختصر وهذب عقائدهم الإمام أبو منصور الماتريدي إلا أن عادة الله في خلقه أن لا يخلوا كتاب من مسألة أو مسائل لا تتقوى بالأدلة أو تكون هناك أدلة أقوى منها إلا ما كان لكتاب الله فإنه محكم لا يأتيه الباطل بوجه من الوجوه ومما عرف عن الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه أنه ألف وصنف وزاد ونَقص وحقق وكرر وهذب ثم قال: هيه أبا الله أن يصح إلا كتابه لذلك حرصت جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية أن تنقل الكتاب كما هو من غير أي تعليق ولا تقديم ولا تأخير على وفق ما طبع من النسخة التي نمتلكها وهي طبعة دار الفكر - دمشق - سوريا بتحقيق الشيخين محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح جزاهم الله عنا خير الجزاء إلا أننا تتطفلنا بين يدي الميداني وحققنا بعض العبارات التي ذكرها في كتابه رحمه الله مثل: استدلاله ببعض الأدلة التي لا تتقوى أن يستدل الإنسان بها على العقائد وكذلك بعض التسميات التي أطلقها على اللوح والعرش واستدل بأدلة لا تتوفر فيها شروط الاستدلال بالعقائد لأن العقائد لا تقبل إلا القطع واليقين وثبوت الأصول كالعرش واللوح والكرسي وغيرها من الغيبيات تحتاج إلى أدلة قطعية متواترة أما ما يتفرع عن الأصل فيكفي فيه خبر الآحاد مثال ذلك ثبوت الجنة فهي بالتواتر وتواترها في القرآن والسنة والتواتر كما قلنا هو ما يفيد اليقين أما ما يتفرع عن الجنة مما يدور فيها مثال: كأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر بقناديل معلقة تحت العرش تسرح في الجنة رواه مسلم فهذا يكفي فيه خبر الآحاد لأن لا يوجد فيه إثبات أصل إنما فيه إثبات ما يتفرع عن الأصل وعلى ذلك فقس لذلك نرجو من القارئ الكريم أن يقرن قراءة الكتاب مع سماع الشرح الذي نبين من خلاله بعض هذه الملاحظات وهؤلاء الأئمة الذين سبقونا هم أسيادنا ومنهم تعلمنا وبهم نقتدي إلا أنه يزيدهم فخراً وسروراً إذا علموا أن من تلاميذ تلاميذهم من استطاع أن يتنبه إلى بعض المفاهيم التي حرصوا على تعليمها للناس لذا نرجو من الله القبول ونسأل المولى أن يحشرنا تحت أعقابهم إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قسم البحوث والدراسات

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية

٢٣ رمضان ١٤٢٨هجري الموافق له ٤ أكتوبر ٢٠٠٧ رومي.

ترجمة المصنف

الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى

هو أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي الأزدي الحنفي المصري إمام جليل مشهور في الآفاق ذكره ولد سنة (٢٣٠هـ) توفي سنة (٣٢١ هـ) وكان يقرأ على المزني الشافعي وهو خاله وكان الطحاوي يكثر النظر في كتب أبي حنيفة فقال له المزني (والله لا يجئ منك شيء) فغضب وانتقل من عنده وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وصار إماماً، فكان إذا درس أو أجاب في شيء من المشكلات يقول (رحم الله خالي، لو كان حياً لكفَّر عن يمينه).

أخذ الفقه عن أبي جعفر أحمد بن أبي عمران، ولقي بالشام أبا خازم عبد الحميد قاضي القضاة، وكان الطحاوي إماماً في الأحاديث والأخبار، وسمع الحديث من كثير من المصريين والغرباء القادمين إلى مصر، وله تصانيف جليلة معتبرة فمنها أحكام القرآن وكتاب معاني الآثار (وهو مطبوع في الهند) ومشكل الآثار والمختصر وشرح الجامع الكبير وشرح الجامع الصغير وكتاب الشروط الكبير والصغير والأوسط والمحاضر والسجلات والوصايا والفرائض، وكتاب مناقب أبي حنيفة، وتاريخ كبير والنوادر الفقهية والرد على أبي عبيد فيما أخطأ في اختلاف النسب والرد على عيسى بن أبان، وحكم أراضي مكة، وقسم الفيء والغنائم وغير ذلك.

والطحاوي نسبة إلى طحية قرية بصعيد مصر، وقد ذكره السيوطي في حسن المحاضرة في حفاظ الحديث وقال كان ثقة فقيهاً، لم يخلف بعده مثله انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. اهـ. ملخصاً من الفوائد البهية في تراجم الحنفية.

وذكره العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى في رسالة عقود رسم المفتي من أرباب الترجيح وهي الطبقة الثالثة من طبقات الفقهاء السبع، فهو من أهل الاجتهاد في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب.

ترجمة الشارح

الشيخ عبد الغني الميداني رحمه الله تعالى

اسمه:

هو الشيخ الإمام العلامة الفقيه ، الزاهد التقي الولي، العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني بن طالب بن حمادة بن سليمان الغنيمي الدمشقي الحنفي الشهير بالميداني رحمه الله تعالى.

مولده:

ولد رضي الله عنه بدمشق الشام في حي الميدان سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين للهجرة، الموافق لسنة ألف وثمانمائة وسبع ميلادية.

نشأته:

نشأ رضي الله عنه في حي الميدان بدمشق، وربي في حجر والده في جو عامر بالعلم والورع والتقوى. ثم قرأ القرآن بعد سن التمييز. وعكف بعد ذلك على طلب العلم الشريف بكل جد واجتهاد.

طلبه للعلم:

بعد تمييزه بقليل وقراءته القرآن الكريم قرأ على الشيخ عمر أفندي المجتهد. وعلى الشيخ سعيد الحلبي، وعلى الشيخ عبد الغني السقطي، وعلى السيد محمد أمين عابدين، وعلى الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعلى الشيخ حسن البيطار، ولازمه ملازمة تامة، وكان يكثر المديح في حقه ولما طلب منه الإجازة حضرة السيد سلمان أفندي القادري نقيب بغداد كتب له بها أسماء مشايخه الذين تخرج عليهم، ولما ذكر الشيخ حسن البيطار قال: وكان جل انتفاعي به.

مصنفاته:

ترك الغنيمي رحمه الله مؤلفات نافعة منها:

١- اللباب في شرح الكتاب، شرح فيه كتاب القدوري في الفقه الحنفي. وقد طبع مراراً.

٢- رسالة إسعاف المريدين لإقامة فرائض الدين، وقد شرحها ولده الشيخ إسماعيل.

٣- رسالة في توضيح مسألة من كتاب المنار في مبحث خاص.

٤- رسالة في رد شبهة عرضت لبعض الأفاضل.

٥- رسالة في الرسم وشرحها.

٦- رسالة في صحة وقف المشاع.

٧- رسالة في مشد المسكة.

٨- سل الحسام على شاتم دين الإسلام.

٩- شرح العقيدة الطحاوية، وهو هذا الكتاب.

١٠- شرح على المراح في الصرف.

١١- فتوى في شركاء اقتسموا المشترك بينهم، بخطه

١٢- كشف الالتباس في قول الإمام البخاري قال بعض الناس.

١٣- المطالب المستطابة في الحيض والنفاس والاستحاضة.

هذا ما عرف من مصنفاته رضي الله عنه وأرضاه.

شِعره:

وكان له في الشعر باع، وقد نظم قصائد أشهرها تلك التي مدح فيها جناب شيخه العالم الرباني الشيخ حسن البيطار التي مطلعها:

ومضـــت بـــروق الحـــي فـــي الظلمـــاء ســـــحَراً أهاجـــت لاعـــج الأحشـــاء

ومن ذلك قوله في مدح سيد الوجود محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

همـــى مقلتـــي طيـــرٌ علـــى البـــان ســـاجع وتغريـــدُه المســـموع للقلـــب صـــادعُ

كـــأن صـــروف الـــدهر ألقتـــه بـــالنوى فنـــاح علـــى إلـــفٍ لـــه وهـــو خاضـــعُ

فقلـــت لـــه يـــا طيـــر قطعـــت مهجتـــي وهيمـــت مضـــني وهـــو بالحـــب والـــع

إلى أن قال...

إذا أقبلـــــت فالشـــــمس تســـــجد هيبـــــة وإن خطـــرت فالغصـــن فـــي الـــروض راكـــع

ولـــــي مخلـــــص مـــــن صـــــدها بتشـــــفعي إليهـــــا بمـــــن لـــــي فـــــي القيامـــــة شـــــافع

فلـــــولاه لـــــم نعـــــرف لـــــدينٍ ولا تقـــــى ولـــــولاه لـــــم يوجـــــد مـــــدى الـــــدهر طـــــالع

ولا عيـــــب إن قيـــــل الغنيمـــــي مـــــادح رســـــول إلـــــه عبـــــده فيـــــه طـــــامع

فـــــذاك عبيـــــد للغنـــــى ومـــــن لـــــه ســـــواه إذا اشـــــتدت عليـــــه الموانـــــع؟!

مناقبه:

أجلّ مناقبه رضي الله عنه مساعدته للأمير عبد القادر الجزائري رضي الله عنه في حادثة الستين التي وقعت في سنة ١٢٧٧ هـ الموافق لعام ١٨٦٠م وكادت تودي بحياة كثير من نصارى الشام وكان له كبير الفضل مع الأمير عبد القادر وبعض علماء العصر في إخماد هذه الفتنة المشؤومة، ولو لم يكن له إلا هذه المنقبة لكفته، وكان محل ثناءٍ عظيم في حياته وبعد مماته قال العلامة الشيخ عبد الرازق البيطار في وصفه:

(بحر علم لا يدرك غوره وفلك فضل على قطب المعارف دوره، لم يقنع بالمجاز عن الحقيقة، حتى تبوأ البحبوحة من تلك الحديقة.

ولديه من المعلومات ما يشق على القلم حشره، ويتعسر على الألسنة نشره وتأليفاته التي يحق لرائها أن ينافس بها ويفاخر، محشوة من الفوائد بما يعقل الأفكار ويقيد الخواطر). [حلية البشر ٢/ ٨٦٧]

وقال العلامة الشيخ محمد سعيد الباني في معرض كلامه عن شيخه الشيخ طاهر الجزائري: (وكثيراً ما سمعت الفقيد- الشيخ طاهر الجزائري تلميذ الغنيمي يطريه - أي الغنيمي- ويثني عليه بأنه من العلماء المحققين الواقفين على لباب الشريعة وأسرارها، وأخبرني أنه حينما حضر عنده التلويح للسعد التفتازاني على توضيح التنقيح لصدر الشريعة في أصول الفقه، وجد منه تحقيقاً يعرب عن غزارة علمه وارتقاء فكره، غير أنه كان يؤثر الخمول على حب الشهرة والظهور، فلا يرغب في المناقشة والتفصح في المجالس الحافلة، ولكنه إذا سئل على انفراد عن عويصات المسائل تجد منه حلال المعضلات وكشاف الأستار عن الأسرار، فلزمه الفقير وتلقى عنه ما تلقى حتى تخرج به). [تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر الجزائري ص ٧٤]

وقال العلامة الشيخ محمد أديب تقي الدين الحصني في وصفه: (له مؤلفات كثيرة: منها شرح عقيدة الطحاوي، ومن النادر وجودها، وبالجملة فإنه كان من جهابذة العلماء المحققين، والفقهاء الورعين المخلصين لا يمل عن الإفادة ولا يستنكف عن الاستفادة، صفاته النصيحة والإرشاد إلى الخلق، وعدم الالتفات إلى ما في أيديهم، له ولع في إعمار المساجد والمعابد، وزيارة المشاهد والمعاهد، وملازمة الأذكار ومخالطة الفقراء والمساكين، تردد إلى الحجاز مراراً وأخذ عن علمائها وقد أدركته وزرته مع والدي رحمه الله تعالى في داره). [منتخبات تواريخ دمشق جـ ٢ ص ٦٧٠].

وقال الأستاذ محمد كرد علي في معرض كلامه عن شيخه الشيخ طاهر الجزائري: (ثم اتصل بعالم عصره الشيخ عبد الغني الميداني الغنيمي الفقيه الأصولي النظار، وكان واسع المادة في العلوم الإسلامية - أي الشيخ الغنيمي- بعيد النظر، وهو الذي حال بإرشاده في حادثة سنة ١٨٦٠م بدمشق دون تعدي فتيان المسلمين على جيرانهم المسيحيين في محلته، فأنقذ بجميل وعظه وحسن تأثيره بضعة ألوف من القتل، وكان الشيخ الميداني على جانب عظيم من التقوى والورع يمثل صورة من صور السلف الصالح، فطبع الشيخ طاهر بطابعه، وأنشأه على أصح الأصول العلمية الدينية، وكانت دروسه دروساً صافية المشارب يرمي فيها إلى الرجوع بالشريعة إلى أصولها والأخذ من آدابها بلبابها). [كنوز الأجداد ص ٥]

وقال الشيخ محمد جميل الشطي: (كان ذا زهد وتقوى وعبادة في السر والنجوى، وهمة عالية، ومروءة سامية، ولسان على الذكر دائب وشهرة سارت في المشارق والمغارب، ثم قال: وكان للمترجم خيرات حسنة ومساع مستحسنة، وقد جدد عمارة الجامع الذي بجانب داره في الميدان في محلة ساحة السخانة بالميدان وأنشأ له منارة عظيمة، واتسع جاهه، وكثر في الناس ثناؤه، وخالطت هيبته القلوب، ونال أجل مطلوب ومرغوب، إلى غير ذلك). [روض البشر ١٥٢]

وفاته:

ولم يزل على استقامته في طاعته وعبادته، وإفادته لطالبه وارده، وإحسانه لراغبه وقاصده إلى أن توفي رحمه الله تعالى رابع ربيع الأول سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين (١٢٩٨هـ) ولقد صلى عليه في جامع الدقاق بإمامة ولده الفاضل الشيخ إسماعيل قدمه للإمامة العلامة الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي، وكان لجنازته مشهد قد غص له واسع الطريق ودفن في تربة باب الله في أسفل التربة الوسطى من جهة الشرق رضي الله عنه ورحمه.

بسم الله الرحمن الرحيم

متن العقيدة الطحاوية

هذا ما رواه الإمام أبو جعفر الطحاوي في ذكر بيان اعتقادِ أهل السنة والجماعة، على مذهب فقهاء المِلةِ: أبي حنيفة النُّعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوبَ بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيبانيِّ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينونَ به لرب العَالمين.

قال الإمامَ وبه قال الإمامان المذكوران رحمهما الله تعالى: نقولُ في توحيدِ اللهِ معتقدين بتوفيق الله تعالى: إنّ الله تعالى واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام، ولا تشبهه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق لهم بلا مَؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يَزدَد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً. ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارئ، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ).

خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، لم يخفَ عليه شيء من أفعالهم، قبل أن خلقهم، وعَلِمَ ما هم عاملون، قبل أن يخلقهم. وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته، ومشيئته تنفُذ، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

يهدي من يشاء ويعصم ويعافي من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً.

وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه، ولا مُعَقِّبَ لِحُكمِهِ، ولا غالب لأمره.

آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده، وأنّ محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى، خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين... وحبيب رب العالمين، وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى. المبعوث بالحق والهدى.

وإن القران كلام الله تعالى بدأ بلا كيفية، قولاً، وأنزله على نبيه وحياً، وصدّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البريّة، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده عذابه حيث قال: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) فلما أوعد الله سقر لمن قال: (إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ البَشَرِ) علمنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر، والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا حيث قال: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعَلِمهُ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فهو كما قال، ومعناه وتفسيره على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام. فمن رام علم ما حظر عليه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه حَجَبَه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً، زائغاً شاكّا لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوَهْم أو تأولها بفهم إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دِين المرسلين وشرائع النبيين.

ومن لم يتوق النفي والتشبيه زَلَّ، ولم يُصب التنـزيه، فإنّ ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس بمعناه أحد من البرية، تعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

والمعراج حق، وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلا، وأكرمه الله تعالى بما شاء، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لامته حق، والشفاعة التي ادخرها الله لهم كما روي في الأخبار. والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته حق. وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، ويدخل النار جملة واحدة، لا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أنهم يفعلونه، وكلٌّ ميسرٌ لما خلق له. والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سَعِدَ بقضاء الله تعالى، والشقي من شَقِيَ بقضاء الله تعالى.

وأصل القدر سر الله في خلقه، لم يَطّلع على ذلك مَلَك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخُذلان، وسُلّمُ الحِرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك، نظراً أو فكراً أو وسوسةً، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال في كتابه (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلونَ) فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد رد حكم كتاب الله، ومن رد حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين.

فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو مُنَوّرٌ قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم.

لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يصح الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود.

ونؤمن باللوح، والقلم، بجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. وما أخطأ العبدَ لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل شيء كائن من خلقه، وقَدَّرَ ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مُبرماً، ليس فيه ناقض ولا مُعَقّبَ، ولا مزيل، ولا مغير، ولا محول، ولا زائد، ولا ناقص من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه العزيز: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) وقال تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً)، فويل لمن صار له الله في القدر خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً. لقد التمس بوهمه في محض الغيب سراً كتيماً وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً.

والعرش والكرسي حق. وهو عز وجل مستغنٍ عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وبما فوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.

ونقول: إنّ الله إتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً.

ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنـزلة على المرسلين. ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين غير مكذبين.

ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله تعالى، ولا نجادل في القرآن، ونعلم أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين.

ولا نقول بخلق القرآن، ولا نخالف جماعة المسلمين.

ولا نقول: لا يضر مع الإسلام ذنب لمن عمله، ونرجو للمحسنين من المؤمنين، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنطهم. والأمن والإياس يَنقُلان عن الملة، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.

والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وأن جميع ما أنزل الله في القرآن، وجميع ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الشرع والبيان كله حق.

والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالتقوى ومخالفة الهوى.

والمؤمنين كلهم أولياء الرحمن. وأكرمهم أطوعهم وأتبعهم للقرآن.

والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى.

ونحن مؤمنون بذلك كله، ولا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به

وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في النار، لا يُخلّدون إذا ماتوا، وهم موحِدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما قال تعالى في كتابه العزيز: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ). وإن شاء عذبهم في النار بقدر جنايتهم بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله مولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك به.

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، ونصلى على من مات منهم، ولا ننـزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق ما لم يظهر منهم من ذلك شيء، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى.

ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا من وجب عليه السيف.

ولا نرى الخروج على أئمتنا، وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو على أحدٍ منهم، ولا ننـزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة.

ونَتَّبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجَور والخيانة

ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر.

والحج والجهاد فرضان ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين بَرَّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.

ونؤمن بالكرام الكاتبين، وأن الله قد جعلهم حافظين. ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وسؤال مُنكَر ونَكير للميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول ربه صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

ونؤمن بالبعث وبجزاء الأعمال يوم القيامة. والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط.

والميزان يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشر والطاعة والمعصية. والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان ولا يبيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار، وخلق لهما أهلاً . فمن شاء إلى الجنة أدخله فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار أدخله عدلاً منه. وكلٌ يعمل لما قد فُرغ منه وصائر إلى ما خلق له.

والخير والشر مقدران على العباد، والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق بها تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال الله تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا).

وأفعال العباد هي بخلق الله تعالى وكسب من العباد.

ولم يكلفهم إلا ما يطيقونه، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو حاصل تفسير قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، تقول: لا حيلة ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعةٍ والثبات عليها إلا بتوفيق الله.

وكل شيء يجري بمشيئة الله عز وجل وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً. تقدس عن كل سوء، وتنزه عن كل عيب وشين: لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وفي دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم منفعة للأموات، والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات.

ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا يُستغنى عن الله طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وكان من أهل الخسران، وإن الله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى.

ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نُفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق لا نذكرهم، ونرى حبهم ديناً وإيماناً وإحساناً، وبغضهم كفراً وشقاقاً ونفاقاً وطغياناً.

ونثبت الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون.

وإنّ العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نشهد لهم بالجنة كما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله الحق وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضوان الله عليهم أجمعين، ومن أحسَنَ القول في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه وذرياته فقد برئ من النفاق.

وعلماء السلف من الصالحين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

ونؤمن بأشراط الساعة منها: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وبطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئا بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفُرقة زيغاً وعذاباً. ودين الله في السماء والأرض واحد وهو دين الإسلام. كما قال الله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الأِسْلامُ)، وقال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)، وقال تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلامَ دِيناً) وهو بين الغلو والتقصير، والتشبيه والتعطيل، والجبر والقدر، والأمن واليأس.

فهذا دُيننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن نبرأ إلى الله تعالى ممن خالف الذي ذكرناه وبيناه.

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلطة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الرَدِيَّة، كالمشبهة والجَهمِيّة، والجبرية، والقَدرية وغيرهم ممن خالف السنة والجماعة، واتبع البدعة والضلالة، ونحن منهم بُرءاء وهم عندنا ضُلاّل وأردياء والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح العقيدة الطحاوية للعلامة الغنيمي

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.

الحمد لله بارئ الأمم، ومولي النعم، الذي لا راد لما حكم، ولا مانع لما قسم، المنفرد في وجوده بالقدم، الباقي الذي لا يلحقه عدم، المنزه عن الشبيه والمثيل، مما يعلم أو يتوهم، الحاكم على ما سواه بالفناء والعدم، ثم يعيدهم يوم معادهم، فيأخذ للمظلوم ممن ظلم، يجزي كل نفس بما كسبت كما علم وأجرى به القلم، ويتدارك بعفوه من شاء ومن شاء منه انتقم، له الأمر كله فلا يسأل عما فعل وحكم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله سيد الأمم، المبعوث بالشرع القويم المشتمل على المصالح والحكم، صلى الله عليه وآله أولي الفضل والكرم، وأصحابه الموفين للعهود والذمم، ما تكلم متكلم وفاه بالتوحيد فم.

وبعد: فيقول راجي نيل الأماني عبد الغني الغنيمي الميداني، غفر الله ذنوبه، وستر في الدارين عيوبه، لما كان علم التوحيد هو أساس بناء التأييد وأشرف العلوم تبعاً للمعلوم، لكن بشرط عدم الخروج عن المدلول من الكتاب والسنة وإجماع العدول، وكانت العقيدة الشهيرة بعقيدة الطحاوي من أجل ما صنف في هذا الشأن، وهذا مما لا يحتاج إلى برهان، لما أنها مع صغر حجمها، وتقارب فهمها، لم تدع قاعدة من أصول العقائد الدينية إلا وأتت عليها، ولم تترك من أمهاتها ومهماتها إلا وقد صرحت بها أو أشارت إليها، وحسبك أنها معتقد إمام الأئمة، وسراج هذه الأمة أبي حنيفة النعمان، عليه الرحمة والرضوان، المشهود لقرنه بالخيرية من سيد الأكوان، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلى وحي يوحي، ومع ذلك لم أطلع لها على شرح يرجع إليه، بعد كثرة السؤال والتطلع إليه، أردت أن أتطفل بجمع بعض عبارات تكون كالشرح لمعانيها، والكشف لبعض خوافيها، وتالله لا أظن نفسي أني أهل لذلك، ولا ممن يقرب أن يسلك هذه المسالك، ولا أني بما وضعته عليها وإن كان من فواضلهم بمنصفها، ولا ممن ينبغي له أن يتفوه فضلاً عن أن يُمزج كلامه بكلام مصنفها، فهب أنهم أباحوا لمثلي التقاط دررهم، فأنى لي نظمه بسمط لآلئ كلمهم، ولكن حملني على اقتحام ذلك رجاء أن أكون في حزب أتباعه، وأن نكون في الآخرة معه في زمرة إمامه تحت لواء من أمرنا باتباعه، صلى الله وسلم عليه، وزاده شرفاً وتعظيماً لديه.

قال رضي الله تعالى عنه ونفعنا به:

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما كان الابتداء من أفعال الإنسان والإنسان وأفعاله من أفعال الرحمن، وأفعال الرحمن كلها صادرة عن أسمائه وصفاته، التي هي لا عين ذاته ولا غير ذاته، أقحم هنا لفظة اسم ولم يقل بالله، فلا احتياج لقول بعضهم: دفعاً لإيهام القسم، إذ مقام الابتداء كان لهذا الدفع، والباء للاستعانة، قال تعالى: (وإياك نستعين) فورد عنه تعالى الإذن بالاستعانة به وبأسمائه بالأولى، فسقط اعتراض بعضهم، بأن الاستعانة لا تدخل إلا على الآلة كما في قولك: قطعت بالقدوم، ولا يحسن جعل اسم الله تعالى آلة للابتداء بل في جعل الباء للاستعانة كمال الافتقار إلى الله تعالى في تحصيل الأفعال الإنسانية المخلوقة لله تعالى وحده، والله: علم مرتجل على ذات واجب الوجود، الموصوف بصفات الكمال، المنزه عن سمات النقص.

والرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة وهي من صفات الله تعالى التي لا تدرك ولا تترك، فنؤمن أن الله موصوف بالرحمة، وننزهه تعالى عن معنى رقة القلب المفهومة من لفظ الرحمة عندنا كما هو مذهب السلف.

والرحمن أعم رحمة من الرحيم، لشموله المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والمكلف وغيره في الدنيا والآخرة، بخلاف رحمة الرحيم فإنها مخصوصة بالمؤمنين. قال تعالى: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً)(الأحزاب: ٤٣). وفيه

نزول للأمر الإلهي بالتخصيص، فالله الجامع للصفات كلها، والرحمن نزول الأوصاف كلها، مخصصة بالرحمة، والرحيم تخصيص ثالث بالمؤمنين، ففي كلام التدلي من جهة الأمر الإلهي، والترقي من جهتنا. كذا في المطالب الوفية للعارف سيدي عبد الغني مع بعض اختصار.

(هذا ما) أي الذي **(رواه)** الشيخ **(الإمام)** أي العالم المقتدى به. مصباح. والظاهر أنه من بعض إلحاقات بعض أصحابه، فقد جرت عادة الأصحاب بذلك، تنويها بشأنهم لمعرفة قدرهم، فإن الكاملين يتباعدون عن ذكر أوصافهم، المشعرة بتزكية أنفسهم لرؤيتهم التقصير لها والكمال لغيرها، فالكامل لا يرى غيره إلا كاملاً، ويرى النقص في نفسه، والناقص لا يرى غيره إلا ناقصاً ويرى الكمال في نفسه، بصرنا الله بعيوبنا وشغلنا بها عن عيوب غيرنا، ولا بعد في كونه من كلام المصنف فيكون من التحدث بالنعم، وإظهار الشكر لذي الفضل والكرم، وقد صرحوا بأنه يجوز مدح النفس في بعض المواضع لغرض من الأغراض المعتبرة شرعاً، ولكن الممدوح حينئذ ليس هو النفس بل القلب، فقد أخرج الطبراني وأبو نعيم أن عمر رضي الله عنه صعد المنبر يوماً فقال: الحمد الله الذي صيرني ليس فوقي أحد، ثم نزل فقيل له في ذلك، فقال إنما فعلته إظهاراً للشكر. وقال الشاذلي رضي الله عنه: ما بقي عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده، وإنما ننظر في كلامهم لنعرف ما منّ الله به علينا دونهم فنشكره. كذا في المطالب نقلاً عن المناوي.

(أبو جعفر) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري **(الطحاوي)** نسبة إلى طحنة قرية بصعيد مصر ينسب إليها جماعة. كان ثقة نبيلاً فقيهاً إماماً. ولد سنة تسع وعشرين وقيل: تسع وثلاثين ومائتين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. صحب خاله المزني، وتفقه به، ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب وتفقه على أبي جعفر أحمد بن أبي عمران، ثم خرج إلى الشام سنة ثمان وستين ومائتين فلقي بها أبا خازم فتفقه عليه وسمع منه. وله كتاب أحكام القرآن يزيد على عشرين جزءا، وكتاب معاني الآثار، وبيان مشكل الآثار، والمختصر في الفقه وشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وله كتاب الشروط الكبير، والشروط الصغير، والشروط الوسطى، وله المحاضر والسجلات، والوصايا والفرائض، وكتاب نقض كتاب المدلسين على الكرابيسي، وله كتاب تاريخ كبير، ومناقب أبي حنيفة، وله في القراءات ألف ورقة، وله النوادر الفقهية عشر أجزاء، والنوادر والحكايات تنوف على عشرين جزءاً، وحكم أراضي مكة المشرفة، وقسمة الفيء والغنائم، وكتاب الرد على عيسى بن أبان، وكتاب الرد على أبي عبيد فيما أخطأ في اختلاف النسب، وكتاب اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين، وكتاب اختلاف الفقهاء، والعقيدة المشهورة. قال ابن يونس: كان الطحاوي ثقة، ثبتاً فقيهاً، عارفاً لم يخلف مثله، وقال ابن عساكر وابن الجوزي وقال [ابن] عبد البر في كتاب العلم: كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء روى عنه ابن المظفر الحافظ، والحافظ أبو القاسم الطبري وأبو بكر بن المقري وآخرون. كذا في تراجم العلامة قاسم، ومن تصفح تراجمه علم أنه الموثوق به في روايته، والمعول عليه في درايته، وأنه من الأفراد التي اتفقت مقالة الفقهاء وأهل الحديث على ما يرويه، وصحة ما يعزيه، وتبحره في أنواع العلوم من الأصول والفروع، والحديث والآثار، والقرآن والتفسير، وله في ذلك تصانيف قد سرت في جميع الآفاق. وفي طبقات العلامة التقي السبكي في ترجمة أبي الحسن الأشعري قال: سمعت الشيخ الإمام يعني والده التاج رحمة الله تعالى يقول: ما تضمنته عقيدة الطحاوي هو ما يعتقده الأشعري ولا يخالف إلا في ثلاث مسائل. قلت: أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني منهم أحداً، والشافعية كلهم أشاعرة لا أستثني منهم إلا من لحق بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به، والحنفية أكثرهم أشاعرة أعني يعتقدون عقد الأشعري لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة،

والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج عن عقد الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر منهم في غيرهم. وقد تأملت عقيدة أبي جعفر الطحاوي فوجدت الأمر على ما قاله الشيخ الإمام، وعقيدة الطحاوي زعم أنها الذي عليه أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، ولقد جود فيها، ثم تصفحت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبين الحنفية فيها خلاف ثلاث عشرة مسألة منها معنوي ست مسائل، والباقي لفظي، وتلك الست المعنوية لا تقتضي مخالفتهم لنا، ولا مخالفتنا لهم تكفيراً ولا تبديعاً. صرح بذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم وهو غني عن التصريح لظهوره. ومن كلام الحافظ: الأصحاب مع اختلافهم في بعض المسائل كلهم أجمعون على ترك تكفير بعضهم بعضاً مجمعون، بخلاف من عداهم من سائر الطوائف وجميع الفرق، فإنهم حين اختلفت مستشنعات الأهواء والطرق كفر بعضهم بعضاً، ورأى تبرئته ممن خالفه فرضاً. قلت: وهذا حق وما مثل هذه المسائل إلا مسائل كثيرة، اختلفت الأشاعرة فيها، وكلهم عن حمى الحَسن يناضلون، وبسيفه يقاتلون، أفرأيتهم يبدع بعضهم بعضاً. ثم هذه المسائل الثلاثة عشر لم يثبت جميعها عن الشيخ ولا عن أبي حنيفة رضي الله عنهما كما سأحكي لك، ولكن الكلام بتقدير الصحة ا.هـ

وهو **(في ذكر بيان اعتقاد)** أي معتقد **(أهل السنة)** أي السيرة والطريقة المحمدية **(و)** أهل **(الجماعة)** من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، من المتبعين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال النجم الغزي في حسن التنبه في التشبه: والمراد بطريق أهل السنة والجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام، وهو ما دل عليه السواد الأعظم من المسلمين في كل زمان، وهم الجماعة والطائفة الظاهرون على الحق، والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين. روى أصحاب السنن وصححه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة وروي هذا الحديث من طرق أخرى كثيرة منها رواية عبد الله بن عمرو وقال فيها: "كلهم في النار إلا ملة واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي" حسنه الترمذي. ومنها رواية معاوية رضي الله عنه وقال فيها: "ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة" رواه أبو داود وغيره ومنها رواية ابن عباس رضي الله عنهما وقال فيها: "كلها في النار إلا واحدة" فقيل: وما هي الواحدة؟ فقبض على يده وقال: " الجماعة فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا". رواه ابن ماجه وغيره. كذا في شرح الطريقة لسيدي عبد الغني.

(على مذهب فقهاء) هذه **(الملة)** الإسلامية الإمام الأعظم **(أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي)** أول من فرّع في الفقه، وألف وصنف بتوفيق من الله تعالى خصه به، ولد رضي الله عنه في عهد الصحابة سنة ثمانين، وقيل: إحدى وسبعين، وقيل: ثلاث وستين ولقي منهم جماعة، كأنس بن مالك، وعامر بن الطفيل، وسهل بن سعد الساعدي ونشأ في زمن التابعين المشهود لقرنهم بالخيرية من سيد المرسلين، وتفقه بهم، وأفتى معهم **(و)** صاحبيه الإمام **(أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري)** أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة وأملى المسائل ونشرها، وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض. مات سنة اثنين وثمانين وقيل: إحدى وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثمانين **(و)** الإمام **(أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني)** ذي التفاريع الحميدة، والتصانيف العديدة، صحب الإمام وتفقه به، ثم أبا يوسف. وروى عنه الإمام مالك والثوري وعمرو بن دينار وغيرهم. وعن الشافعي: أخذت عن محمد بن الحسن وقر بعير، ما رأيت رجلاً سميناً أخف روحاً منه، وكان يملأ القلب والعين، وعن أبي عبيدة: ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن. مات سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. كذا في

تراجم العلامة قاسم. وترجمتهم غنية عن البيان، واستيفاؤها تكل منه البنان **(رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)** **(و)** هذا هو **(ما يعتقدون من أصول الدين)** جمع أصل، خلاف الفرع، فالأصل ما يبنى عليه غيره، والفرع ما يبنى على غيره كفروع الشجرة لأصلها، وفروع الدين وهي الأحكام الشرعية لأصوله، وهي العقائد الدينية، والدين كما في تعريفات السيد: وضع إلهي يدعو أرباب العقول قبول ما عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **(ويدينون به لرب العالمين)** جمع عالَم اسم لما يعلم الله تعالى به، وهو كل ما سواه تعالى من الجواهر والأجسام والأعراض، وجمعه ليشتمل على ما تحته من الأجناس المختلفة إذ يقال: لكل جنس عالم كعالم الطير وعالم النبات وعالم الجماد ونحو ذلك، وغلّب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون ترجيحاً للجنس الأشرف. كذا في المطالب.

تنبيه: مما ينبغي لكل شارع في شيء أن يتصور ذلك الشيء بحدّه أو رسمه، ليكون على بصيرة في طلبه، وأن يعرف موضوعه ليمتاز عنده عما عداه، وأن يعرف غايته وهي الثمرة التي لأجلها الطلب لصيانة سعيه عن العبث فحد هذا العلم المسمى بأصول الدين، وبعلم العقائد، وبعلم التوحيد والصفات، وبعلم الكلام.

[علم التوحيد]: هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية.

موضوعه: المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية لأنه يبحث في هذا العلم عن أحوال الصانع من الوجود والقدم لاعتقاد ثبوتها.

وغايته أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية محكَماً.

وغايته العظمى: الفوز بسعادة الدارين، الدنيا بالأمان: والأخرى بالفوز بالجنان والنجاة من النيران المعدة لأهل الكفر والطغيان.

(قال الإمام) الأعظم **(وبه)** أي بقوله **(قال)** صاحباه **(الإمامان المذكوران)** آنفاً **(رحمهما الله تعالى، نقول في توحيد الله تعالى معتقدين)** حال من فاعل نقول، والاعتقاد هو الحكم الجازم الذي لا يقبل التشكيك وهو **(بتوفيق)** من **(الله تعالى)** لنا لا بحولنا ولا بقوتنا، والتوفيق لغة: التسديد، واصطلاحاً: جعل الله تعالى فعل عباده موافقاً لما يحبه ويرضاه. كذا قاله السيد وقوله **(إن الله تعالى)** إلى آخر الكتاب مقول لقول الإمام "نقول" وهو ومقوله مقول لقول المصنف "قال الإمام" **(واحد)** لا من طريق العدد، بل من طريق أنه **(لا شريك له)** في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. والوحدانية صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع:

الأول: الوحدة في الذات، والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى، بمعنى عدم قبولها الانقسام.

والثاني: الوحدة في الصفات، والمراد بها انتفاء النظير له تعالى في كل صفة من صفاته، فيمتنع أن يكون له تعالى علوم وقدرات متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات، بل علمه تعالى واحد، ومعلوماته كثيرة، وقدرته واحدة، ومقدوراته كثيرة، وعلى هذا جميع صفاته.

والثالث: الوحدة في الأفعال، والمراد بها انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموماً، وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى في شيء من الممكنات أصلاً، كذا في شرح الطريقة **(ولا شيء مثله)** تأكيد لصفة الوحدة إذ لو كان له مثل لم يكن واحداً ولزم منه إما حدوث القديم أو قدم الحادث ضرورة أن حد المثلين أن يسد أحدهما مسد الآخر، وأن لا يختص أحدهما بصفة دون الآخر، وإلا لم يكن مثلاً، وأين الباطل من الحق؟! والمخلوق ممن له الأمر والخلق،والزائل من الأزلي، والفاني من السرمدي إنما يقع الإشكال في أوصاف من له أشكال، وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال، وأما من انفرد بالعظمة والجلال فما للعقل في إدراكه مجال، فسبحانه وتعالى من إله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المتعال. كذا في شرح الجوهرة لبعض العارفين، ثم أكد ذلك بقوله **(ولا شيء**

يعجزه) عن فعل ممكن ما وجوداً وعدماً، والعجز صفة لا يتأتى معها إيجاد شيء ولا إعدامه، وهو أمر وجودي على مذهب أهل السنة يضاد القدرة. كذا في شرح السنوسية للهدهدي.

(ولا إله) في الوجود **(غيره)** بدليل برهان التمانع المشار إليه بقوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء: ٢٢] (وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) [المؤمنون: ٩١].

وقد انتفى الفساد ووجد الصلاح، فظهرت الوحدة لأهل الفلاح. وإنما قلت المشار إليه بقوله تعالى لما ذكر العلامة المحقق الزاهد علاء الدين محمد بن محمد البخاري الحنفي تلميذ المولى سعد الدين التفتازاني قدس الله سرهما في ضمن جواب انتصر به لشيخه عما شنع عليه بعض معاصريه بقوله في شرح العقائد: إن الآية حجة إقناعية والملازمة عادية. والمعتبر في البرهان الملازمة العقلية، واستند هذا المعاصر في تشنيعه إلى أن صاحب التبصرة كفر أبا هاشم بقدحه بدلالة الآية، رأيت أن أسوقه بلفظه لاشتماله على فوائد قال رحمه الله تعالى: الإفاضة في الجواب على وجه يرشد إلى الصواب يتوقف على ما أورده الإمام حجة الإسلام رضي الله عنه وحاصله: أن الأدلة على وجود الصانع وتوحيده تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها القلب، والطبيب إذا لم يكن حاذقاً مستعملاً للأدوية على قدر قوة الطبيعة وضعفها كان إفساده أكثر من إصلاحه، كذلك الإرشاد بالأدلة إلى الهداية إذا لم يكن على قدر إدراك العقول كان الإفساد للعقائد بالأدلة أكثر من إصلاحها، وحينئذ يجب أن لا يكون طريق الإرشاد لكل أحد على وتيرة واحدة، فالمؤمن المصدق سماعاً أو تقليداً لا ينبغي أن تحرك عقيدته بتحرير الأدلة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطالب العرب في مخاطبته إياهم بأكثر من التصديق، ولم يفرق بين أن يكون ذلك بإيمان وعقد تقليدي، أو بيقين برهاني. والجافي الغليظ الضعيف العقل الجامد على التقليد المصر على الباطل لا تنفع معه الحجة والبرهان وإنما ينفع معه السيف والسنان، والشاكون الذين فيهم نوع ذكاء ولا تصل عقولهم إلى فهم البرهان العقلي المفيد للقطع واليقين ينبغي أن يتلطف في معالجتهم بما أمكن من الكلام المقنع المقبول عنده لا بالأدلة اليقينية البرهانية لقصور عقولهم عن إدراكهم، لأن الاهتداء بنور العقل المجرد عن الأمور العادية لا يخص الله تعالى به إلا الآحاد من عباده، والغالب على الخلق القصور والجهل، فهم لقصورهم لا يدركون براهين العقول، كما لا تدرك أنوارَ الشمس أبصارُ الخفافيش، بل تضرهم الأدلة العقلية البرهانية كما تضر رياح الورد للجعل وفي مثل هذا قيل:

ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وأما الفطن الذي لا يقنعه الكلام الخطابي فيجب المحاجة معه بالدليل القطعي البرهاني.

إذا تمهد هذا فنقول: لا يخفى أن التكليف بالتصديق بوجود الصانع وبتوحيده يشمل الكافة من العامة والخاصة، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مأمور بالدعوة للناس أجمعين، وبالمحاجّة مع المشركين الذين عامتهم عن إدراك الأدلة القطعية البرهانية قاصرون، ولا يجدي معهم إلا الأدلة الخطابية المبنية على الأمور العادية والمقبولة التي أَلِفوها وحسبوا أنها قطعية، وأن القرآن العظيم مشتمل على الأدلة العقلية القطعية البرهانية التي لا يعقلها إلا العالمون وقليل ما هم بطريق الإشارة على ما بيّنه الرازي في عدة آيات من القرآن، وعلى الأدلة الخطابية النافعة مع العامة لوصول عقولهم إلى إدراكها بطريق العبارة، تكميلاً للحجة على الخاصة والعامة على ما يشير بذلك قوله تعالى: (وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: ٥٩] وقد اشتمل عليهما عبارة وإشارة قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء: ٢٢] أما الدليل الخطابي المدلول عليه بطريق العبارة فهو لزوم فساد السماوات والأرض بخروجهما عن النظام المحسوس عند تعدد الآلهة، ولا يخفى أن لزوم فسادهما إنما يكون على تقدير لزوم الاختلاف، ومن البين أن الاختلاف ليس بلازم قطعاً لإمكان الاتفاق فلزوم الفساد لزوم عادي، وقد

أشار إليه الإمام الرازي حيث قال: أجرى الله تعالى الممكن مجرى الواقع بناء على الظاهر ولا يخفى على ذوي العقول السليمة أن ما لا يكون في نفس الأمر لازماً وقطعياً لا يصير بجعل الجاعل وتسميته إياه برهاناً دليلاً قطعياً زعماً أن تسميته برهاناً قطعياً صلابة في الدين ونصرة للإسلام والمسلمين هيهات هيهات فإن ذلك مدرجة لطعن الطاعنين. ونصرة الدين لا تحتاج إلى ادعاء ما ليس بقطعي قطعياً لاشتمال القرآن على الأدلة القطعية العقلية التي لا يعقلها إلا العالمون بطريق الإشارة النافعة للخاصة، وعلى الأدلة الخطابية النافعة للعامة بطريق العبارة، وأما البرهان العقلي القطعي المدلول عليه بطريق الإشارة فهو برهان التمانع القطعي بإجماع المتكلمين المستلزم لكون مقدور بين قادرين، ولعجزهما أو عجز أحدهما على ما بُيّن في علم الكلام، وكلاهما محالان عقلاً على مابُين فيه أيضاً، لا التمانع الذي تدل عليه الآية بطريق العبارة بل التمانع قد يكون برهانياً وقد يكون خطابياً ولا ينبغي أن يتوهم أن كل تمانع عند المتكلمين برهان وقطعية لزوم الفساد المدلول عليه بالإشارة لا ينافي خطابية لزوم الفساد المدلول عليه بالعبارة لأن الفساد المدلول عليه بالإشارة هو كون مقدور بين قادرين وعجز الإلهين المفروضين أو عجز أحدهما والفساد المدلول عليه بالعبارة هو خروج السماوات والأرض عن النظام المحسوس، فأين أحدهما عن الآخر، وحينئذ لا ينبغي أن يتوهم أن يلزم من انتفاء جواز الاتفاق على تقدير الفساد المدلول عليه بطرق الإشارة بناء على أنه يستلزم امتناع تعدد الآلهة عقلاً، فيلزم منه انتفاء جواز الاتفاق لأنه فرع إمكان التعدد وانتفاء جواز الاتفاق على طريق الفساد المدلول عليه بطريق العبارة لعدم استلزامه امتناع التعدد عقلا، وإنما يستلزمه عادة والاستلزام العادي لا ينافي عدم الاستلزام العقلي فليتأمل، ثم ذكر بقية الجواب وضمنه التعجب من تكفير صاحب التبصرة لمن قال: إن دلالة الآية ظنية ونحو ذلك كذا نقله في شرح المسايرة **(قديم)** قدماً ذاتياً **(بلا ابتداء)** أي ليس مسبوقاً بعدم وإلا لزم الدور أو التسلسل وكلاهما محال كما هو مقرر، وخرج بقيد الذاتي القدم الزماني كأمس بالنسبة لليوم والإضافي كالأب بالنسبة لولده، والقدم صفة سلبية أخص من الأزل لأن القديم موجود لا أول له، والأزلي ما لا أول له أعم من أن يكون وجودياً كذات مولانا عز وجل أو عدمياً كعدمنا الأزلي **(دائم)** أي باقٍ **(بلا انتهاء)** أي ليس ملحوقاً بعدم، المعبر عنه بامتناع طروء العدم على وجوده تعالى، لأن من ثبت قدمه استحال عدمه، والبقاء صفة سلبية أيضاً وقد أردفها على طريق التفسير والتأكيد بقوله **(لا يفنى)** أي لا يزول بقاؤه، يقال: فني الميت إذا زال وذهب أثره. مختار. **(ولا يبيد)** أي لا ينقطع بقاؤه يقال بادت القبيلة: إذا انقطعت. مختار. **(ولا يكون)** أي لا يوجد في ملكه **(إلا ما)** يشاء و **(يريد)** والإرادة: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تخصص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه. قال اللقاني: واعلم أن الخلاف في معنى إرادته تعالى كثير والقول في تفصيله شهير مع اتفاق المتكلمين والحكماء وجميع الفرق على القول بأنه تعالى مريد، فعند الجبائية هي صفة زائدة قائمة لا بمحل، وعند الكرّامية: صفة حادثة قائمة بالذات، وعند ضرار: نفس الذات، وعند محققي المعتزلة: هي العلم بما في الفعل من المصلحة، وعند الحكماء والفلاسفة: هي العلم بالنظام الأكمل، والحق عندنا كما قاله السعد: إنها صفة شأنها التخصيص قديمة زائدة، قائمة به على ما هو شأن سائر الصفات الحقيقية، لأن تخصيص بعض الأضداد بالوقوع دون البعض، وفي بعض الأوقات دون البعض مع استواء نسبة الذات إلى الكل لا بد أن يكون لصفة شأنها التخصيص لامتناع التخصيص بلا مخصص، وامتناع احتياج الواجب في فاعليته إلى أمر منفصل. انتهى.

تنبيهان:

الأول: الإرادة والمشيئة واحدة عندنا في حق الله تعالى أما في جانب العبادة فيفترقان حتى لو قال لامرأته: أردت طلاقك لا تطلق ولو قال: شئت طلاقك يقع لأن الإرادة مشتقة من التردد وهو الطلب، والمشيئة عبارة عن الإيجاد

فكأنه قال: أو جدت طلاقك وبه يقع الطلاق كذا ذكروه. قال القونوي: وفيه نظر إذ لو كان كذلك لما احتيج إلى النية، والحاصل أن المشيئة عبارة عن الإرادة التامة التي لا يتخلف عنها الفعل والإرادة تطلق على التامة وعلى غير التامة. فالأولى: هي المرادة في جانب الله تعالى، والثانية: في جانب العباد. اهـ.

الثاني: قال اللقاني: مذهب أهل الحق أن كل ما أراده الله تعالى فهو كائن. وكل كائن فهو مراد له تعالى، وإن لم يكن مرضياً له ولا مأموراً به، هذا ما اشتهر عن السلف ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخالفت المعتزلة في الأصلين اهـ.

(لا تبلغه الأوهام) جمع وهم وهو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته قاله السيد **(ولا تدركه الأفهام)** جمع فهم: وهو تصور المعنى من اللفظ، فكل ما تخيل في الوهم أو تصور في الفهم فالله سبحانه وتعالى بخلافه، وهو سبحانه وتعالى خالق التخيل في الوهم والتصور في الفهم ومنشؤه وسوسة الشيطان وكراهته علامة محض الإيمان **(ولا تشبهه الأنام)** أي المخلوقات وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، وهو كالذي قبله من قوله لا تبلغه الأوهام. عبارة عن صفة من صفاته السلبية، وهي مخالفته تعالى للحوادث، وهي المتصفة بالوجود خارجاً أو ذهناً فلا يماثله سبحانه وتعالى شيء، لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، فليست ذاته بجسم. ولا جوهر كما أنها ليست بعرض، وصفاته ليست حادثة، وأفعاله ليست معلولة ولا مكتسبة.

(حي) أي موصوف بصفة الحياة وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى لا تتعلق بشيء، وهي شرط عقلي لسائر الصفات كما أن الوجود شرط لها، وأعلم أن المصنف قد أعرض عن بحث الوجود واكتفى بما هو ظاهر في مقام الشهود ففي التنزيل (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [إبراهيم: ١٠] (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [لقمان: ٢٥] فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق كما يشير إليه قوله تعالى: (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) [الروم: ٣٠] ويومئ إليه حديث: "كل مولود على الفطرة" وإنما جاء الأنبياء عليهم السلام لبيان التوحيد، وتبيان التفريد، ولذا أطبقت كلمتهم واجتمعت حجتهم على كلمة التوحيد بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ولم يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: الله موجود بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود، رداً لما توهموا وتخيلوا حيث قالوا: (هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) [يونس: ١٨] (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: ٣] على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد، ولذا صدّر عقيدته بشهادة التوحيد.

وكما أن حياته أزلية فهي أبدية كما نص عليها بقوله: **(لا يموت)** أي أبداً، إذ من ثبت قدمه استحال عدمه **(قيوم)** أي قائم بنفسه وذاته وهي عبارة عن استغنائه تعالى عن المحل والمخصص، تعالى الله عنهما. وتعبير المصنف بصيغة المبالغة للإشارة بأنه القائم بنفسه، المقيم لغيره بالتدبير والحفظ، ثم أكد ذلك بقوله: **(لا ينام)** أي لا يأخذه ما يأخذ الحيوانات من آفة النوم، وهي حالة تعرض للحيوان عن استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الإحساس رأسياً. قال السيد والله تعالى منزه عن ذلك، إذ من يعتريه ذلك غير تام الحياة، ناقص الحفظ والقيام، فكيف وهو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

(خالق) لجميع خلقه **(بلا حاجة)** إليهم **(رازق لهم)** فضلاً منه **(بلا)** تحمل كلفة **(مؤنة)** تثقله **(مميت)** لهم عند انقضاء آجالهم **(بلا مخافة)** ترهبه **(باعث)** لهم عند إرادة بعثهم **(بلا مشقة)** تلحقه لأن كلا – من الحاجة والمؤنة والمخافة والمشقة ونحوها- من سمات النقص والله سبحانه وتعالى منزه عنه.

(ما زال) سبحانه وتعالى **(بصفاته)** أي معها **(قديماً)** من **(قبل خلقه)** الخلق **(لم يزدد بكونهم)** أي بسبب وجودهم **(شيئاً لم يكن قبلهم)** أي قبل وجودهم **(من صفاته)** متعلق بمحذوف صفة لشيء، أي لم يزدد بوجودهم شيئاً من صفاته لم يكن قبل وجودهم، إذ لو استفاد صفة لم يكن موصوفاً بها في الأزل لكان إذ ذاك ناقصاً تعالى الله عن ذلك. **(وكما كان)** سبحانه وتعالى **(بصفاته)** قديماً **(أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً)** سرمدياً.

(ليس منذ خلق الخلق) وأوجدهم **(استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية)** أي الخلق **(استفاد اسم البارئ)** بل هو سبحانه موصوف وثابت **(له معنى الربوبية ولا)** إذ ذاك **(مربوب)** موجود. **(و)** له **(معنى الخالقية ولا)** إذ ذاك **(مخلوق)** موجود **(وكما أنه)** سبحانه وتعالى يوصف بأنه **(محي الموتى بعدما أحياهم)** أي بعد إحيائهم وقد **(استحق هذا الاسم)** الآن والحال أنه **(قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل)** خلقهم و **(إنشائهم)** و **(ذلك بأنه)** أي بسبب أنه **(على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير)**.

واعلم أنه اشتهر الخلاف في صفات الفعل من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك المعبر عنها بالتكوين، فذهب الماتريدية إلى أنها صفات قديمة، بدليل أن البارئ تعالى مكون الأشياء ومنشئها إجماعاً، وكونه تعالى مكون الأشياء بدون صفات التكوين –التي المكونات آثار تحصل عن تعلقها بها- محال ضرورة استحالة وجود الأثر بدون الصفة، التي يحصل بها الأثر كالعالم بلا علم: ولا بد أن تكون صفة التكوين أزلية لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى.

قال في شرح المقاصد: أسند القول بالتكوين إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه، وهم ينسبونه إلى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ أبي الحسن الأشعري حتى قالوا: إن قول أبي حنيفة والطحاوي [رحمهما الله] له معنى الربوبية ولا مربوب، والخالقية ولا مخلوق إشارة إلى هذا ثم أطبقوا على إثبات أزلية التكوين ومغايرته للقدرة، وكونه غير المكوّن، وأن أزليته لا تستلزم أزلية المكوَّنات انتهى.

وذهب الأشاعرة إلى أنها حادثة، لأنها عبارة عن تعلقات القدرة، والتعلقات كلها حادثة وفي المسايرة للمحقق الكمال ابن الهمام: اختلفت مشايخ الحنفية والأشاعرة في صفات الأفعال، والمراد صفات تدل على تأثير لها أسماء غير اسم القدرة باعتبار أسماء آثارها، والكل يجمعها اسم التكوين فإن كان ذلك الأثر مخلوقاً فالاسم الخالق والصفة الخلق أو الأثر رزقاً فالاسم الرازق والصفة الترزيق، أو حياة فهو المحيي، أو موتاً فهو المميت، فادعى متأخرو الحنفية من عهد أبي منصور أنها صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة، وليس في كلام أبي حنيفة [رضي الله عنه] والمتقدمين تصريح بذلك سوى ما أخذوه من قوله: كان تعالى خالقاً قبل أن يخلق، ورازقاً قبل أن يرزق، وذكروا له أوجهاً من الاستدلال.

والأشاعرة يقولون: ليست صفة التكوين على فصولها سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بمتعلق خاص. فالتخليق القدرة باعتبار تعلقها بالمخلوق، والترزيق تعلقها بإيصال الرزق، وما ذكروه –يعني متأخري الحنفية- في معناه لا ينفي هذا، ولا يوجب كونها صفات أخرى لا ترجع إلى القدرة المتعلقة بما ذكر ولا يلزم في دليل لهم ذلك. وأما نسبتهم ذلك للمتقدمين ففيه نظر، بل في كلام أبي حنيفة [رضي الله عنه] ما يفيد أن ذلك على ما فهم الأشاعرة من هذه الصفات على ما نقله عنه الطحاوي وساق العبارة المتقدمة في المتن بحروفها ثم قال: فقوله ذلك بأنه على كل شيء قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق، وأفاد أن معنى الخالق والحال لا مخلوق في الأزل لمن له قدرة الخلق في الأزل، وهذا ما يقوله الأشاعرة والله الموفق انتهى. وفي المطالب: وأما صفة التكوين فمذهب أهل الحق، رجوعها لتعلقات القدرة والإرادة. أ.هـ.

(لا يحتاج إلى شيء) ويحتاج إليه كل شيء **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** [الشورى: ١١] قال في المصباح: مِثل: يستعمل على ثلاثة أوجه: بمعنى الشبيه، وبمعنى نفس الشيء وذاته، وزائدة والجمع أمثال ويوصف به المذكر والمؤنث والجمع، فيقال: هو وهي وهما وهم وهن مثله، وفي التنزيل (أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا) [المؤمنون: ٤٧] وخرّج بعضهم على هذا قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أي ليس كوصفه شيء وقال: هو أولى من القول بزيادتها لأنها على خلاف الأصل وقيل: المعنى ليس كذاته شيء كما يقال: مثلك من يعرف الجميل ومثلك لا يفعل كذا، أي أنت تكون كذا وعليه قوله تعالى: (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) [الأنعام: ١٢٢] أي كمن هو في الظلمات ومثال الزيادة (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ) [البقرة: ١٣٧] قال ابن جني في الخصائص: قولهم: مثلك لا يفعل كذا قالوا: مثل زائدة، أي أنت لا تفعل كذا، قال: وإن كان المعنى كذلك إلا الا أنه على غير هذا التأويل الذي رواه من زيادة مثل، وإنما تأويله: أنت من جماعة شأنهم كذا ليكون أثبت للأمر إذا كان له فيه أشباه وأضراب، ولو انفرد هو به لكان انتقاله عنه غير مأمون، وإذا كان له فيه أشباه كان أحرى بالثبوت والدوام عليه، قوله: ومثلي لا تنبو عليك مضاربه. انتهى وتأويل ليس كمثله شيء، على مقتضى تفسير المثل في النفس والذات واضح، إذ ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، إذ المعنى، ليس كهو شيء، وكذلك على القول بزيادة مثل، وأما على تأويلها بالشبيه فيكون على سبيل الفرض والتقدير، والمعنى لو فرض أن له مثلاً وشبيهاً –تعالى وتقدس- لكان ليس كمثله شيء ولا شبيه كما قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) [الزخرف: ٨١] يعني لو فرض وقدر ولكنه لا يجوز فرض ذلك ولا تقديره. وعلى تفسير المثل بالذات اللازم منه بقاء الكاف على وضعها غير زائدة جرى البيضاوي في التفسير مصدّراً به كلامه، ثم قرر معنى لزيادتها بعده، وأوضح مراده القاضي زكريا في حاشيته بما نقله عن السعد التفتازاني وهو أنه –أعني التفتازاني- قال: إن قولنا ليس كذاته شيء، وقولنا: ليس كمثله شيء، عبارتان في معنى واحد، هو أن المماثلة منفية عمن يكون مثله وعلى صفته، فكيف عن نفسه؟ وهذا لا يستلزم وجود المثل، ألا ترى أن قولهم مثل الأمير لا يفعل كذا ليس اعترافاً بوجود المثل له فالمعنى: أن مثل مثله تعالى منفي فكيف بمثله؟!، أيضاً مثل المثل مثل فيلزم من نفيه نفيهما. كذا في شرح الشيبانية للشيخ علوان.

ورأيت بخط بعض الفضلاء معزواً للشيخ الأكبر قدس سره: من فهم معنى قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) لم يفكر قط في كنه ذات الحق أبداً، وما رأيت أحداً ممن يدعي أنه من فحول العلماء من أصناف النظار إلا وقد تكلم في ذات الله تعالى بفكره زاعمين أنهم ينزهونه حتى وقع في ذلك أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى لكنه رجع عن ذلك قبل موته، وكان من فضل الله علي أن حفظني من التفكر في ذاته، فلم أعرفه تعالى إلا من قوله وخبره وشهوده فبقي الفكر مني معطلاً في هذه الحضرة، فشكرني فكري على ذلك وقال: الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغي لي أن أتصرف فيه وكان ذلك من مبايعة سابقة فإني كنت قد بايعت فكري أن لا يتعب في التفكر في ذات الله تعالى، وأن يصرف تعبه في الأغيار، فبايعني على ذلك فلله الحمد على صرفه في الشغل الذي خلق له أ.هـ.

(خلق الخلق) بقدرته عند تعلق إرادته حسبما تعلق **(بعلمه)** في سابقته **(و)** كذلك **(قدر لهم أقداراً)** من خير أو شر **(وضرب لهم آجالاً)** لاستيفاء مالهم من رزق وعمر، فلا يأكل أحد رزق غيره، ولا يموت إلا بأجله وسببه، وفي هذا رد على المعتزلة القائلين: إن الحرام ليس رزقاً، والمقتول منقوص من أجله، بناء على أصلهم الفاسد، وقد قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [هود: ٦] وقد عرف في الخلق من لم يأكل غير الحرام قط، فلو لم يكن الحرام رزقاً لزم الخلف في الآية وقال تعالى (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)

[الأعراف: ٣٤] (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [نوح: ٤] مع أن القتل فعل القاتل قائم به والموت قائم بالميت، يخلقه الله تعالى عقب فعل الفاعل. كذا ذكر المنلا إلياس.

(لم يخف عليه شيء من أفعالهم) من **(قبل أن خلقهم)** بل **(وعلم ما هم عاملون)** من **(قبل أن يخلقهم)** والعلم صفة من صفاته الذاتية وهي صفة أزلية ينكشف بها المعلومات عند تعلقها بها، فالله تعالى عالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض والسماوات، بل أحاط بكل شيء علماً من الجزئيات والكليات والموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فهو بكل شيء عليم من الذوات والصفات.

(و) قد **(أمرهم بطاعته)** ووعدهم عليها برحمته **(ونهاهم عن معصيته)** وتوعدهم على انتهاكها بعقوبته.

(وكل شيء يجري) في الكون إنما هو **(بقدرته ومشيئته)** كما قال تعالى (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الرعد: ١٦] (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) [الفرقان: ٢] (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: ٩٦] **(ومشيئته تنفذ)** حكم ما شاء وأراد **(ولا مشيئة للعباد إلا)** حيث وافقت **(ما شاء)** الله **(لهم)** وأراد **(فما شاء لهم كان)** أي وجد **(وما لم يشأ)** لهم **(لم يكن)** لم يوجد أي ما تعلقت المشيئة وهي الإرادة الإلهية بوجوده يوجد لتعلق العلم بوجوده، وما لم تتعلق المشيئة بوجوده لا يوجد، لتعلق العلم بعدم وجوده، وفي هذا رد على المعتزلة القائلين: إنما يريد الله من أفعال العباد ما كان طاعة، والمعاصي والقبائح واقعة بإرادة العبد على خلاف إرادة الله تعالى وقد قال تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [الدهر: ٣٠] وهم قد شاؤوا المعاصي فكانت بمشيئة الله تعالى بهذا النص.

وهو سبحانه **(يهدي)** إلى الخير **(من يشاء)** هدايته قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: الهداية هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب أوصل إليه بالفعل أو لا فإنها مستعملة في كلا المعنيين كما في قوله تعالى: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [القصص: ٥٦] وقوله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) [فصلت: ١٧] لكن الاستعمال في معنى الدلالة الموصلة أكثر، ولهذا عرفها المتقدمون من مشايخ أهل السنة بخلق الاهتداء ا هـ . وفي الكشاف: هي الدلالة الموصلة إلى المطلوب. واعترض عليه الرازي ودفع بعضهم اعتراضاته وبعضهم دفع دفعها لم أر في إيرادها جدوى لكونها مدافعة ودعوة **(ويعصم)** من يشاء عصمته وهي ملكة تحمل صاحبها على اجتناب المعاصي مع التمكن منها قاله السيد **(ويعافي)** أي يدفع عن **(من يشاء)** عافيته. وهي دفاع الله تعالى عن العبد. مختار **(فضلاً)** منه ومنة **(ويضل من يشاء)** إضلاله وهو ضد الرشاد **(ويخذل)** بضم الذال يترك نصرته وعونه **(ويبتلي)** بالشر من يشاء خذلانه وابتلاءه **(عدلاً)** منه ونقمة. قال العارف السيد عبد الله الحداد في حكمه: الخلق مع الحق لا يخلو أحد منهم أن يكون في إحدى الدائرتين، إما في دائرة الرحمة أو في دائرة الحكمة، فمن كان اليوم في دائرة الرحمة كان غداً في دائرة الفضل، ومن كان اليوم في دائرة الحكمة كان غداً في دائرة العدل ا هـ. قال شارحها: وحل هذا المقام أن الله تعالى كان موصوفاً في الأزل بأوصاف الرحمة، كالجود والكرم والرأفة واللطف والإحسان، وموصوفاً بصفات النقمة، كالقهر والإضلال والانتقام فقسم خلقه بإرادته قسمين، فمنهم من قسم لهم أن يكونوا مظاهر أوصاف الرحمة في الأغلب، وإن كانوا لا يخلون عن الحكمة والعدل، ومنهم من قسم لهم أن يكونوا مظاهر صفات النقمة المشتملة على الحكمة في الأغلب، وإن كانوا لا يخلون عن الرحمة والفضل، ثم أخرجهم من العدم إلى فضاء الوجود فسهل لكلٍ ما قسم له ، ثم إذا أوردهم في مورد القيامة جعل أهل دائرة الرحمة بفضله في آلاء لا تحصى، وجعل أهل دائرة الحكمة بعدله في بلايا لا تقصى، فمن وفقه الله للخير فلا يحمدون إلا إياه، ومن ابتلي بالضير فلا يلومن إلا نفسه ا.هـ.

(وهو) سبحانه وتعالى **(متعال)** أي مرتفع ومتنزهٌ **(عن الأضداد)** جمع ضد وهو النظير والكفء. مصباح. **(والأنداد)** جمع ند بالكسر المثل. مصباح **(لا راد لقضائه)** المبرم **(ولا معقب لحكمه)** المحكمة أي لا يتعقبه أحد

بتغيير ولا نقض، يقال: عقب الحاكم على حكم من كان قبله إذا حكم بعد حكمه بخلافه، أي لا راد لما أبرمه من قضائه ولا ناقض لما حكم به لأنه القاهر فوق عباده **(ولا غالب لأمره)** وهو العزيز الحكيم **(آمنّا بذلك)** القضاء المقدور **(كله)** خيره وشره، حلوه ومره **(وأيقنا أن كلا)** كائن **(من عنده)** بمشيئته وإرادته.

(و) نقول **(أن)** نبينا **(محمداً صلى الله عليه وآله وسلم)** أشهر أسمائه الشريفة، وهي ألف عند بعضهم، وقيل ثلاثمائة، وقيل: تسعة وتسعون، وهو علم منقول من اسم مفعول المضاعف، فسمي بذلك لكثرة خصاله الحميدة، وقد سماه به جده عبد المطلب في سابع يوم من ولادته بإلهام من الله تعالى، فقيل له: لم سميت ابنك محمداً، وليس من أسماء آبائك وأجدادك؟ قال: رجوت أن يحمد في السماء والأرض فحقق الله رجاءه على الوجه الذي سبق في علمه، ولم يسم به أحد قبله، ولكن لما قرب زمنه ونشر أهل الكتاب نعته سمى أقوام أولادهم به رجاء النبوة لهم، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وعدتهم خمسة عشر كما نبه عليه بعض المحققين **(عبده)** قدمه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث الصحيح: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبده ورسوله" ولتقدمها وجوداً على الرسالة، وللدلالة عن عدم استنكافه عن ذلك المقام بل للإشارة إلى أنه مفتخر بذلك المرام، ولأنه أحب الأسماء إلى الله تعالى وأرفعها إليه ومن ثم وصفه الله تعالى به في أشرف المقامات في إنزال القرآن كما في قوله (أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) [الكهف: ١] وقوله (نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ) [الفرقان: ١] وفي مقام الدعوة إليه في قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) [الجن: ١٩]. وفي مقام الإسراء والوحي إليه في وقوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) [الإسراء: ١] وقوله (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) [النجم: ١٠] فلو كان له وصف أشرف منه لذكره به في تلك المقامات العلية، واحتراساً عن الإفراط بوصفه، حيث إنه صلى الله عليه وآله وسلم مع ما بلغ من الاصطفاء والاجتباء والارتضاء والختم والسيادة مع النبوة والرسالة، ما برح عن صفة العبودية، وأن صفة الألوهية والربوبية إنما هي لله تعالى لا غير، والعبودية لمن دونه ففي الوصف بها إشارة على غاية كمال الله تعالى واحتياج غيره إليه في سائر أحواله.

(المصطفى) نعت له أي المختار من الأخيار، أخرج ابن ماجه والترمذي عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" **(ونبيه)** من النبوة وهي الرفعة، أي أن له عند الله رتبة شريفة ومكانة منيفة، أو من النبأ بالهمز وقد تسهل، وهو الخبر أي أن الله أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبياً منبأ، أو يكون مخبراً عما بعثه الله تعالى به ومنبئاً بما أطلعه الله تعالى عليه وهو - كما قاله الشهاب ابن حجر-: إنسان حر، ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه **(المجتبى)** نعت له، وهو كالمصطفى وزناً ومعنى **(ورسوله)** هو -كما قال الشهاب-: إنسان حر ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه سواء كان معه كتاب أنزل عليه ليبلغه، ناسخاً لشرع من قبله، أو غير ناسخ له، أو على من قبله وأمر بدعوة الناس إليه، أو لم يكن له ذلك بأن أمر بتبليغ الوحي من غير كتاب فهو أخص من النبي **(المرتضى)** لما أكرمه الله تعالى به.

وهو صلى الله عليه وآله وسلم **(خاتم)** جميع **(الأنبياء)** كما قال تعالى (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [الأحزاب: ٤٠] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم "وخُتم بي النبيون" رواه مسلم **(وإمام)** جميع **(الأتقياء)** جمع تقي وهو من اتصف بالتقوى.

قال البيضاوي: والتقوى فرط الصيانة، وهي في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة، ولها ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) [الفتح: ٢٦]
والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغار، وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنيُّ بقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا) [الأعراف: ٩٦].
والثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بسرائره، وهو التقي الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) [آل عمران: ١٠٢] ا هـ.

(وسيد) جميع **(المرسلين)** لما في الجامع الصغير معلماً للإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي" ا هـ ولا ينافي هذا صدر الحديث لأنه إما للتأدب مع آدم، أو لأنه علمَ فضل بعض بنيه عليه كإبراهيم فإذا فضل الأفضل من آدم، ففضل آدم بالأولى، ولا ينافي التفضيل بين الأنبياء قوله تعالى: (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) [البقرة: ١٣٦] ولا ما جاء من الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تفضلوني" وفي رواية: "لا تخيروني على الأنبياء" وقوله: "من قال أنا خير من يونس بن متَّى فقد كذب" وذلك لأن عدم التفرقة بينهما إنما هو في الإيمان بهم وبما جاؤوا به، أو بجمل النهي عن التفضيل في ذات النبوة والرسالة، إذ هم فيه سواء، أو عن تفضيل يؤدي على تنقيص بعضهم، وقد أجاب إمام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله: أن تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالأمور الحسية كالشفاعة العظمة وكونهم تحت لوائه، والإسراء به إلى فوق سبع سماوات، مع النزول بيونس إلى قعر البحر معلوم بالضرورة، فلم يبق إلا النهي بالنسبة إلى القرب والبعد من الله تعالى المتَوَهَّم التفاوت فيه بين من فوق سبع سموات ومن في قعر البحر فبيّن صلى الله عليه وآله وسلم أنهما حينئذ بالنسبة إلى القرب والبعد من الله تعالى على حد سواء لتعاليه تعالى عن الجهة والمكان علواً كبيراً. **(وحبيب)** فعيل بمعنى مفعول أي محبوب لربه **(رب العالمين)** جلّ وعلا.

(وكل دعوة نبوة بعد) ظهور **(نبوته)** الخاتمة **(فغيّ)** أي ضلال وفرط جهل حمله على دعواها **(وهوى)** نفسٍ أمارة بهواها **(وهو)** صلى الله عليه وآله وسلم **(المبعوث إلى)** الثقلين **(عامة الجن)** بكسر الجيم بخلاف الإنس، وهم أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية والهوى. بيضاوي **(وكافة الورى)** أي الخلق فهو من عطف العام على الخاص وإنما ابتدأ بالجن اقتداء بقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون) [الذاريات: ٥٦] وقدمت في هذه الآية ونحوها لكونهم سبقوا في الوجود قال تعالى (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) [الحجر: ٢٧].

وهو **(المبعوث بالحق)** من ربه **(والهدى)** والرشد بإذنه **(و)** نقول **(إن القرآن)** أي **(كلام الله تعالى)** الذي **(بدأ)** أي ظهر منه لنا **(بلا كيفية)** نتعقلها من حرف أو صوت أو بدءٍ أو سكوت. والجار والمجرور حال من قوله **(قولاً)** أي معقولاً بلا كيفية **(وأنزله على نبيه)** صلى الله عليه وآله وسلم **(وحياً)** أي بواسطته **(وصدقه المؤمنون على ذلك)** كله تصديقاً **(حقاً وأيقنوا أنه)** أي القرآن والمراد به المقروء **(كلام الله تعالى بالحقيقة)**.

وهو (أي كلام الله) الصفة الأزلية القائمة بذاته تعالى المنافية للسكوت والآفة وليس بحرف ولا صوت **(ليس بمخلوق ككلام البرية)** المؤلف من الحروف المشتمل على الأصوات وقوله ليس بمخلوق خبر لقوله: إن القرآن ولذا جعلت قوله كلام الله تفسيراً للقرآن وإن كان الأقرب أن يكون هو الخبر لما نقل السعد في شرح العقائد عن الأشياخ أنه يقال: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ولا يقال: القرآن غير مخلوق لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلف بين الأصوات والحروف قديم، كما ذهب إليه الحنابلة جهلاً أو عناداً ا.هـ.**(فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد)** افترى على الله تعالى و**(كفر و)** ذلك لأنه **(قد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده)** انتقامه و **(عذابه)** وما ذلك إلا لافترائه على

ربه بنسبة صفته القديمة إلى خلقه وذلك **(حيث قال)** تعالى في شأنه **((سأصليه سقر)** [المدثر: ٢٦] **فلما أوعد الله)** تعالى **(سقر لمن قال (إن هذا))** أي القرآن **((إلا قول البشر) علمنا أنه قول خالق البشر و)** قول الخالق **(لا يشبه قول البشر)** تعالى الله أن تُماثل صفاته وتَكبّر.

(ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد) ضل و **(كفر)** واستوجب العذاب الأكبر، **(فمن أبصر هذا)** وتدبر وعلم ما في الجرأة على الله من الخطر تنبه و **(اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أن الله تعالى بصفاته)** كلها **(ليس كالبشر)**.

ونقول: **(الرؤية)** إلى الذات المقدسة المنزهة عن الإحاطة والجهة **(حق)** أي ثابتة **(لأهل الجنة)** لكن **(بغير إحاطة)** بجوانب المرئي وحدوده، لتعاليه تعالى عن التناهي والاتصاف بالجوانب والحدود **(ولا كيفية)** من مقابلة وجهة وارتسام، واتصال شعاع، وثبوت مسافة بين الرائي والمرئي، لأن هذا كله في رؤية الأجسام، والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الأجسام، فإن الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه، فمن كان في مكان وجهة لا يرى إلا في مكان وجهة كما هو كذلك، ويرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة، ومن لم يكن في مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة، ولا بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة، وإلا لم تكن رؤية له، بل لغيره. كذا في شرح الطريقة لسيّدي عبد الغني.

قال اللقاني في شرح جوهرته: والمراد أنه ينكشف سبحانه انكشافاً تاماً بحاسة البصر لكل فرد من المؤمنين، وهذا مجمَع عليه في الجملة، وإن اختلف العلماء في بعض جزئياته وأفراده وزمانه ومكانه، فقد قال العز بن عبد السلام: إن الملائكة لا ترى ربها في الآخرة متمسكاً بعموم قوله: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) [الأنعام: ١٠٣] فإنه عام خص منه مؤمنو البشر بالنص فبقي على عمومه فِيمَن عداهم والحق أنهم يرونه سبحانه، كما نص عليه الأشعري ووافقه البيهقي والبلقيني. وجزم الجلال السيوطي بأن الجن تحصل لهم الرؤية في الموقف مع سائر الخلق قطعاً، وتحصل لهم في الجنة في وقت ما من غير قطع بذلك، وأما أنهم يساوون الإنس في الرؤية في كل جمعة فالظاهر خلافه.

وقد اختلف العلماء في رؤية النساء لله تعالى في الآخرة، على ثلاثة مذاهب:

أحدها: لا يرينه لقصرهن في الخيام ولعدم تصريح الأحاديث برؤيتهن.

والثاني: يرينه أخذاً من عموم النصوص الواردة في الرؤية.

والثالثة: يرينه في الأعياد فإن الله تعالى يتجلى فيها تجلياً عاماً فيرينه في مثل هذه الحالة دون غيرها. وبه جزم السيوطي.

وفي المؤمنين من الأمم المسابقة احتمالان لابن أبي جمرة أظهرهما عنده مساواتهم في الرؤية لمؤمني هذه الأمة، واحترز بالمؤمنين عن الكفار والمنافقين فإنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) [المطففين: ١٥] وقيل: إنهم يرونه ثم يحجبون، فيكون عليهم حسرة ا. هـ وقوله: **(كما نطق به)** أي بحقيقة الرؤية **(كتاب ربنا)** عز وجل دليل على حصول الرؤية **(حيث قال: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ))** أي مشرقة بهية مسرورة لكونها **(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** [القيامة: ٢٣] وحق لها أن تنضر وهي إلى ربها تنظر **(وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه)** فهذا **(وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)** كقوله: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" رواه البخاري وغيره من طرق منوعة. ومنه رواية لمسلم: أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب" قالوا: لا، قال: "فإنكم ترون كذلك" الحديث. فتشبيهه الرؤية برؤية البدر والشمس من حيث الوضوح التام والتجلي الكامل

الذي لا شك فيه ولا ريب. **(و)** كذلك ما ورد **(عن أصحابه)** الأعلام **(رضوان الله عليهم أجمعين)** كما نقل القرطبي عن المبارك متصلاً: أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال على منبر البصرة: إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول: هل أنجزكم الله وعده؟ فينظرون الحلي والحلل والآثار والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا فيقول الملك: هل أنجزكم وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون: نعم فيقول: قد بقي لكم شيء إن الله تعالى يقول: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) [يونس: ٢٦] ألا إن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى الله تعالى.

(فهو) حق ثابت **(كما قال)** قائله ولكن على المعنى الذي أراده، فإنه من حيز المتشابه الذي استبد الله تعالى بعلمه **(و)** المتشابه وكل وصف اتصفت به الذات العلية مما لا يدرك في العقل ولا يترك للنقل **(معناه وتفسيره على ما أراد)** أي مراد الله تعالى و **(لا ندخل في ذلك متأولين)** وهو في الأصل: الترجيح، وفي الشرع: صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله، قاله السيد **(بآرائنا)** جمع رأي وهو ما أدى إليه فهمه باجتهاده **(ولا متوهمين)** أي ظانين **(بأهوائنا)** جمع هوى بالقصر هوى النفس فإن ذلك من مزالّ التوحيد الجارّ إلى الشك والترديد **(فإنه من سلم في دينه)** وفاز بيقينه **(إلا من سلّم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم)** جميع ما صح عنهما من محكم ومتشابه فأخذ بالمحكم على إحكامه **(وردّ)** أي أسند **(علم ما اشتبه عليه)** علمه **(إلى عالمه)** على مراده.

(و) اعلم أنه **(لا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم)** وهو بذل الرضا بالحكم. مختار. **(والاستسلام)** أي الانقياد ومنه التفويض فيما خفي منه المراد **(فمن رام)** أي طلب **(علم ما حُظر)** أي منع عنه **(عليه)** أي علمه **(ولم يقنع بالتسليم)** مع التفويض **(فهمه حجبه)** أي منعه **(مرامَه)** أي مطلبه **(عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان)** من إضافة الصفة إلى الموصوف في المواضع الثلاث أي التوحيد الخالص والمعرفة الصافية والإيمان الصحيح **(فيتذبذب)** أي يتردد **(بين الكفر والإيمان والتكذيب)** والإيقان **(والإقرار والإنكار)** ويرجع **(موسوساً)** بالأوهام **(تائهاً)** عن المرام **(زائغاً شاكاً)** أي **(لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً)** ولذا قال **(ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل)** الجنة **(دار السلام لمن اعتبرها منهم)** أي المؤمنين بالرؤية **(بوهم)** توهمه **(أو تأولها بفهم)** فهمه فينعكس عليه الموضوع إلى الرجوع من تحري كمال الإيمان إلى مزلّة الضلالة والطغيان **(إذا كان تأويل الرؤية)** بل **(وتأويل كل معنى)** لا يدرك مما **(يضاف إلى)** حضرة **(الربوبية)** والذات العلية **(ترك التأويل ولزوم)** الاستسلام و **(التسليم وعليه)** أي على ذلك المذكور **(دين المرسلين وشرائع النبيين)** وهو مذهب السلف الصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين **(و)** اعلم أن **(من لم يتوقّ)** أي يتحفظ ويحترز عن **(النفي)** لما لا يدرك من صفات الذات العلية كالمعطلة **(والتشبيه)** لها بوهمه بصفة من صفات البرية كالمجسمة **(زلّ)** عما يبتغيه وضل **(ولم يصب التنزيه)** وما فر بزعمه منه وقع فيه **(فإن ربنا جل)** أي عظم **(وعلا)** أي ارتفع عما لا يليق به **(موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية)** فهو **(ليس بمعناه)** ولا يشبهه ولا يماثله **(أحد من البرية)** أي الخلق.

(تعالى الله) وتنزه **(عن)** جميع أوصاف المحدَثات من **(الحدود والغايات)** أي الأبعاد المحدودة والنهايات **(والأركان)** جمع ركن وهو لغة: الجانب القوي واصطلاحاً ما يقوم به ذلك الشيء **(والأدوات)** جمع أداة وهي الآلة أي الجوارح ذوات الأداة وأما ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من وصفه تعالى بما يوهم ظاهره ذلك كاليد والأصبع والقدم، وكذا النفس والوجه كقوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح: ١٠] (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) [ص: ٧٥] (فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) [البقرة: ١١٥] (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) [الرحمن: ٢٧] (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا

أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) [المائدة: ١١٦] وقوله عليه الصلاة والسلام: "أنت كما أثنيت على نفسك" وقوله: "إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء" وقوله: "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها" وقوله: "لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العزة قدمه" ونحو ذلك، فالواجب إجراؤه على ظاهره، وتفويض علمه إلى قائله مع تنزيه الباري عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدَثة.

قال الإمام فخر الإسلام البزدوي في أصوله: إثبات اليد والوجه عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف، وإنما ضلت المعتزلة من هذه الوجه ا.هـ

قال الإمام [في وصيته]: نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى فهو منزه عن ذلك علواً كبيراً. ا هـ فانظر كيف أجراه على ظاهر التنزيل من غير تأويل مع التنزيه عما لا يليق بذات الجليل وهذه طريقة السلف وهم أسلم والتأويل طريقة الخلف وقد قيل: إنها أحكم.

وقد توسط ابن دقيق العيد فقال:نقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أوّل به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب ونتوقف فيه إذا كان بعيداً. وجرى على التوسط ابن الهمام بين أن تدعو الحاجة لخلل في فهم العوام وأن لا تدعو الحاجة لذلك المرام بحسب اختلاف المقام.

(لا تحويه الجهات الست) إذ كان قبل خلقها وهو الآن ما عليه كان بخلاف غيره **(كسائر المبتدعات)** فإنها لا تخلو عن المذكورات.

(و) نقول **(المعراج)** لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(حق)** أي ثابت بالخبر المشهور حتى إن منكره يكون مبتدعاً وإنكاره وادعاءُ استحالته إنما يُبتَنى على أصول الفلاسفة **(وقد أسري بالنبي)** محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)** من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما نطق به الكتاب **(و)** منه **(عُرج بشخصه)** خلافاً لمن زعم أنه كان للروح فقط **(في اليقظة)** خلافاً لمن زعم أنه كان في المنام، على ما روي عن معاوية أنه سئل عن المعراج فقال: كان رؤية صالحة، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما فقد جسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج وقد قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) [الإسراء: ٦٠] وأجيب بأن المراد الرؤية بالعين وأن المعنى ما فقد جسده عن الروح بل كان معها، والمعراج بهما جميعاً ولا يخفى أن المعراج بالروح أو في المنام ليس مما يُنكر كل الإنكار، والكفرة أنكروا أمر المعراج غاية الإنكار، بل كثير من المسلمين قد ارتدوا بسبب ذلك. **(إلى السماء)** خلافاً لمن زعم أن المعراج في اليقظة لم يكن إلا إلى بيت المقدس. وقوله: **(ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلا)** إشارة إلى اختلاف أقوال السلف فقيل: إلى الجنة، وقيل إلى العرش وقيل إلى ما فوق العرش وقيل: إلى أطراف العالم.

وحاصله كما قال السعد في شرح العقائد: الإسراء من المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب ومنه إلى السماء مشهور، ومنها إلى الجنة والعرش أو غير ذلك آحاد **(وأكرمه الله تعالى بما شاء)** من الدنوّ برفع مكانته والتدلي بجذبه إلى جناب قدسه وأثنى عليه ما أثنى حيث قال: **(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)** [النجم: ١٠] ففيه من تفخيم الموحى إليه والموحى به مالا يخفى.

(و) نقول **(الحوض)** لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(الذي أكرمه الله تعالى به)** يوم القيامة **(غياثاً لأمته)** يرده الأخيار ويزاد عنه الأشرار **(حق)** ثابت بصحيح الأخبار التي بلغ مجموعها التواتر المعنوي ففي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا" وفي رواية لهما: "حوضي مسيرة شهر زواياه سواء وماؤه أبيض من الوَرِق" وحديث أنس عندهما أيضاً: "ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة" وفي رواية لهما: "مثل ما بين المدينة وعُمان" وفي رواية لمسلم من حديث أبي ذر: "عرضه مثل طوله ما بين عُمان إلى أيلة" والأحاديث في الصحيحين وغيرهما كثيرة جداً من روايات جماعات من الصحابة.

تنبيهان:

الأول: قد فسر بعضهم الكوثر بالحوض وهو قول عطاء من المفسرين ويمكن أن يستدل له بحديث الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة في المسجد، ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "أنزلت علي آنفاً سورة" فقرأ: (بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ،فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ،إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟" قلنا: الله تعالى ورسوله أعلم. قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء" الحديث وإنما يتجه الاستدلال إذا جعلنا قوله: هو حوض عائد إلى النهر، والظاهر أنه خبر عن الخير الكثير وأن ذلك الخير الكثير هو الحوض، ففي رواية في الصحيحين: "أن الكوثر نهر في الجنة" ولفظ البخاري: "بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طيبه أو طينه مسك أذفر".

ففي ذلك وغيره من الأحاديث صريح بأنه نهر فمعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم "خير كثير هو حوض" أن النهر يمد الحوض وأن ماءه منه وفي رواية لمسلم في صفة الحوض: "أن ماءه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق" اهـ. يقال: غت الماء بغين معجمة فمثناة فوقية يغت بالضم إذا جرى جرياً متتابعاً له صوت وتدفق.

الثاني: قد اختلف في تقدير الحوض كما مر، ويجمع بينهما بأنه ليس القصد تقدير تحديد إنما القصد الإعلام بسعة الحوض جداً، وأنه ليس كحياض الدنيا، وقد تكرر منه صلى الله عليه وآله وسلم وصفه بذلك فخاطب في وصفه لكل فريق بما يعرفه من مسافة بعيدة، ومنهم من قدر له المسافة بالزمان لا بالمكان فقال: مسيرة شهر من غير قصد تحديد كما قدمناه.

تتمة: ذكر القرطبي في التذكرة أن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حوضين كلاهما يسمى الكوثر أحدهما قبل الصراط، والثاني في الجنة كذا في شرح المسايرة.

(و) نقول **(الشفاعة)** العظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة في كافة الخلق لإراحتهم من الموقف، وهي **(التي ادخرها الله لهم)** بسؤاله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من ربه **(كما روي)** ذلك **(في)** صحيح **(الأخبار)** ففي الجامع الصغير رامزاً للطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه: "إن لكل نبي دعوة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة" قال ابن قاضي عجلون في شرح الشيبانية" إن مما خص الله تعالى به نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة في الحشر، كما روي في الصحيحين من طرق: "أنا أول شافع وأول مشفَّع" وهذه

الشفاعة لأهل الجمع في تعجيل الحساب والإراحة من طول الوقوف والغم، وهي الشفاعة العظمى في فصل القضاء يوم القيامة وهي مختصة بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينكرها أحد وهي المقام المحمود في قوله تعالى: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) [الإسراء: ٧٩] وهي المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، وقد ورد في الحديث الصحيح الأمر بأن ندعوَ بذلك عقيب الآذان والحكمة في سؤال ذلك صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه واجب الوقوع بوعد الله تعالى بإظهار شرفه صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم منزلته وفي شرح الجزائرية للسنوسي رحمه الله: لا شك أن مما يجب الإيمان به لتواتره ووقوع الإجماع عليه ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إراحة الناس من الموقف واختصاصها به صلى الله عليه وآله وسلم أمر مستفيض مشهور في الصحاح.

وفي شرح الجوهرة للمصنف وله صلى الله عليه وآله وسلم شفاعات ذكر القاضي والنووي منها خمساً:

أحدها: وهي أعظمها وأعمها شفاعته عليه الصلاة والسلام بعد أن يكلم الناسُ الأنبياء حين يعاينون من شدائد الموقف وأهواله، وطول القيام فيه لرب العالمين وزيادة القلق وتصاعد العرق ما يذهب الأكباد وينسي الأولاد مدة ثلاثة آلاف سنة فيترادّونها من آدم إلى عيسى، في خمسة آلاف سنة أيضاً، إذ بين كل سؤال نبي وآخر ألف سنة، كما قال ابن حجر والقرطبي وغيرهما، فإذا انتهوا إليه صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أنا لها أنا لها، أمّتي، أمّتي" وكل من قبله لا يقول: إلا نفسي، اذهبوا إلى غيري. وهذه مختصة به صلى الله عليه وآله وسلم وتسمى الشفاعة العظمى، وهذه مجمَع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر، إذ هي للإراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم، ولو إلى النار.

وثانيها: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه أيضاً خاصة به على ما قاله القاضي والنووي، وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه ابن حجر قائلاً: لا دليل عليه وقد ذكر حديثها مسلم.

وثالثها: في قوم استوجبوا النار، فيشفع لهم فلا يدخلونها، وهذه جزم القاضي وابن السبكي اختصاصها به، وتردد النووي.

ورابعها: فيمن دخل النار من المؤمنين المذنبين. وهذه وقع إطباق القوم على عدم اختصاصها به.

وخامسها: الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة وهذه لا ينكرها أيضاً المعتزلة كالأولى إلى أن قال: وقد بقيت شفاعات أخر وردت بها آثار لا تخلو عن مقال.

(و) نقول **(الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته)** وأشهدهم عليه **(حق)** ثابت بالكتاب كما قال الله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) [الأعراف: ١٧٢] ثم بيّن سبحانه وتعالى حكمة الإشهاد بقوله (أن تقولوا) أي لئلا يقولوا يوم القيامة (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٧٢] وفي معالم التنزيل للبغوي: روي عن مسلم ابن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عنها فقال: "إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون" فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار" قال أبو عيسى: حديث حسن ا هـ. وفي التلويح للسعد ذهب جمع من المفسرين إلى أن الله

تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض، على حسب ما يتوالدون إلى يوم القيامة في أدنى مدة كموت الكل بالنفخ في الصور، وحياة الكل بالنفخة الثانية، فصورهم واستنطقهم وأخذ ميثاقهم ثم أعادهم في صلب آدم ثم أنسانا بتلك الحالة ابتلاء لنؤمن بالغيب.

(و) نقول **(قد علم الله تعالى فيما)** أي في علمه الأزلي الذي **(لم يزل)** عليه **(عدد من يدخل الجنة)** بفضله **(و)** من **(يدخل النار)** بعدله **(جملة واحدة لا يزاد في ذلك العدد)** المعلوم **(ولا ينقص منه وكذلك أفعالهم فيما)** أي في الذي **(علم منهم أنهم يفعلونه)** من خير أو شر ونفع أو ضر **(وكلٌ ميسر لما خلق له)** فأهل السعادة ييسَّرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ييسَّرون لعمل أهل الشقاوة.

(والأعمال) إنما تعتبر **(بالخواتيم)** وإن كان قبلها يوصف بضدها قال النسفي في عقائده: والسعيد قد يشقى والشقي قد يسعد ا هـ. والخواتيم مبنية على سابقة القضاء كما أشار إليه بقوله...

(والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى) وقدره **(والشقي من شقي بقضاء الله تعالى)** وقدره السابق على وجوده، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) [ق: ٢٩] قال البيضاوي: أي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي. وعفوه عن بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل، فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد ا.هـ [كلام البيضاوي].

واعلم أن مبنى هذه المسألة وهي مسألة السعادة والشقاوة على مسألة الاستثناء في الإيمان فمن قال بجوازه في الإيمان نظراً إلى الخاتمة ذهب إلى عدم التبدل، ومن قال بعدم جوازه نظراً إلى تسمية الشرع المؤمن مؤمناً وإجراء أحكام الإيمان عليه وإن كان مآله الكفر، والكافر كافراً وإجراء أحكام الكفر عليه وإن كان مآله الإيمان ذهب إلى حصول التبديل، فكل من الفريقين ناظر إلى طرف، والخلاف بينهما مرجعه اللفظ دون المعنى، ولهذا لم يذكر المصنف رضي الله عنه مسألة الاستثناء في الإيمان ولا صرح بأن الشقي يصير سعيداً وبالعكس، وإنما أتى بعبارة أجمع عليها الفريقان وهي أن العبرة في الخاتمة، وأن من له سعادة في الأزل أو شقاوة فلا تتبدل، بل لا بد أن تنفذ وتظهر على ذلك الشخص، فإن كان لها أمر في الدنيا معين لا بد أن تكون فيه فإذا انقضى أمدها تبدلت بضدها، وإذا لم يكن لها أمد معين بقيت إلى الآخرة، وهذا المقدار لا خلاف فيه لأحد.

وفي بحر الكلام: والاستثناء في أصل الإيمان غير صحيح عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لأن الاستثناء يرفع جميع العقود نحو الطلاق والعتاق والبيع فكذلك يرفع عقد الإيمان والاستثناء قوله: أنا مؤمن إن شاء الله، لأن هذا الاستثناء شك، والشك في أصل الأيمان كفر وضلالة، ولذا لو قال الكافر: أنا مؤمن إن شاء الله لا يصير مؤمناً، وكذا لو وقف وقال: آمنت بالله ورسوله إلى ألف سنة لا يصير مؤمناً ولو قال: أكون مؤمناً غداً إن شاء الله أو أموت مؤمناً إن شاء الله أو يكون إيماني مقبولاً إن شاء الله يكون مستحسناً، لأن هذا الاستثناء في الدوام والثبات والقبول لا في أصل الإيمان، وقال السعد في شرح العقائد عند قول النسفي: وإذا وُجد من العبد التصديق والإقرار صح له أن يقول: أنا مؤمن حقاً لتحقق الإيمان ولا ينبغي أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لأنه إن كان للشك فهو كفر لا محالة، وإن كان للتأدب وإحالة الأمور إلى مشيئة الله تعالى أو للشك في العاقبة والمآل لا في الآن والحال، أو للتبرك بذكر الله تعالى أو للتبري عن تزكية نفسه والإعجاب بحاله فالأولى تركه لما أنه يوهم الشك. ولهذا قال: ولا ينبغي، دون أن يقول ولا يجوز لأنه إذا لم يكن للشك فلا معنى لنفي الجواز، كيف وقد ذهب إليه كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين وليس هذا مثل قولك أنا شاب إن شاء الله لأن الشباب ليس من

الأفعال المكتسبة ولا مما يتصور البقاء عليه في العاقبة والمآل، ولا مما تحصل به تزكية النفس والإعجاب بل مثل قولك: أنا زاهد متقٍ إن شاء الله.

وذهب بعض المحققين إلى أن الحاصل للعبد هو حقيقة التصديق الذي به يخرج عن الكفر، لكن التصديق بنفسه قابل للشدة والضعف، وحصول التصديق الكامل المنجي المشار إليه بقوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ) [الأنفال: ٤] الآية إنما هو في مشيئة الله تعالى.

قلت: فعلى هذا تكون مسألة الاستثناء في الإيمان مبنية على مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، كما أن مسألة السعادة والشقاوة مبنية على مسألة الاستثناء في الإيمان كما ذكرنا، فمن قال: إن الإيمان يزيد وينقص قال بجواز الاستثناء فيه وبعدم التبديل والتغيير في السعادة والشقاوة بيان. ومن قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص قال: بعدم جواز الاستثناء، وقال بالتبديل والتغيير في السعادة والشقاوة، وسيأتي في كلام المصنف مسألة الزيادة والنقصان في الإيمان.

والحاصل أن الخلاف لفظي كما ذكرنا وأن الإيمان والكفر حالتان توصف بهما العباد فمن وصف بالإيمان فهو مؤمن ومن وصف بالكفر فهو كافر كما أن الكِبَر والصغر حالتان فمن وصف بالكبَر فهو كبير، ومن وصف بالصغر فهو صغير، ولو كان المعتبر في صحة الوصف الخاتمة ما كان الموصوف بالصغر يسمى صغيراً، لأنه إذا كبر ومات مات كبيراً لا صغيراً ولا نزاع في صحة تسمية من اتصف بالصغر صغيراً في تلك الحالة فكذا هذا، ومتى صح الاتصاف كان مقطوعاً به من غير شك فمن اتصف بالإيمان فهو مؤمن حقاً في تلك الحالة ومن اتصف بالكفر فهو كافر حقاً في تلك الحالة.

وأما بقاء وصف الإيمان على المؤمن إلى الموت وبقاء وصف الكفر على الكافر إلى الموت فليس من الأمور التي تدخل تحت مقدور المكلف إلا باعتبار الوقت الذي هو فيه، لعدم علمه بذلك فإن الله تعالى هو الذي استأثر بعلمه.

وبيان ذلك أن الساعة التي أنت فيها إن كانت إيماناً فقل: أنا مؤمن إيماناً حقاً واشكر نعمة الله تعالى عليه باعترافك بتحققها فيك، ولا تقل: أنا مؤمن إن شاء الله فتكون شاكاً في تلك النعمة متردداً فيها - ربما إنها تكون نقمة- غير شاكر عليها ربَّك فيلزم من ذلك أنك لا تشكر ربك على نعمة من نعمه التي أنعمها عليك أبداً، لأن أعظم النعم التي هي نعمة الإيمان ترددت في أنها نعمة عليك أم نقمة فكيف غيرها من النعم، وهو ينافي حصول الشكر من أحد. وشكر المنعم فرض وإن كانت ساعتك التي أنت فيها كفراً فقل: أنا كافر حقاً واعزم على إزالة ذلك منك في الحال بضده وهو الإيمان، واشكر ربك على التوفيق لذلك وبالله المستعان. كذا في المطالب للعارف سيدي عبد الغني.

(وأصل القدر) بتحريك الدال وتسكينها مصدر قَدَرت الشيء بفتح الدال وتخفيفها إذا أحطت بمقداره أي حقيقته **(سرُّ الله)** تعالى أي علمه بما يكون **(في خلقه)** ثم إيجاده ما سبق في علمه أنه يوجد ويعبر عن هذا بقضائه.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم: أعلم أن مذهب أهل السنة إثبات القدر، وهو أنه سبحانه وتعالى قدَّر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدَّرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يُقدِّرها في سابق علمه وأنها مستأنفة العلم، أي يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها، تعالى ربنا عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً، وسميت هذه الفرقة القدرية لإنكارهم القدر وقد انقرضت هذه الفرقة، وصارت القدرية في هذا الزمان تعتقد أن الخير من الله والشر من غيره، تعالى الله عن ذلك.

قال إمام الحرمين في إرشاده: إن بعض القدرية قال: لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر وهذه جهالة وتواقح فإننا بحمد الله تعالى نفوض أمورنا لله تعالى ونضيف جميع الأمور إليه وهؤلاء الجهلة يضيفونها إلى أنفسهم ومُضيف الشيء إلى نفسه أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم" القدرية مجوس هذه الأمة" شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة، كما قسمت المجوس الخير إلى يزدان، والشر إلى أهرمن. كذا في شرح الطريقة وشرح الجوهرة للمصنف عند ذكر القدر.

و (القدر) هو عند الماتريدية: تحديد الله تعالى أزلاً كلَّ مخلوق بحدِّه الذي يوجد به، من حُسن وقُبح ونَفع وخَير، وما يحويه من زمان ومكان، وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وثواب وعقاب أو غفران ونحوه. قال بعضهم: المراد من القدر أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته. هذا هو المعلوم من الدين بقواطع البراهين وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين قبل حدوث القدرية المخالفين.

و [القدر] عند الأشاعرة إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين، في ذاتها وأحوالها كما نسبه لهم السيد في شرح المواقف.

والظاهر أنه اختلاف عبارة وأن المراد علم الله تعالى بإيجاده الأشياء، ألا ترى إلى عبارة النووي نفعنا الله به وهو منهم- حيث قال: "ومعناه أن الله قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدَّرها" اهـ. لكن استظهر سيدي عبد الغني في المطالب أن الخلاف معنوي، وأنه مبني على الخلاف في صفات الفعل قدماً وحدوثاً فراجعه **(لم يطلع على ذلك)** السر الذي أسره سبحانه وتعالى **(ملك مقرب ولا نبي مرسل)** إظهاراً لعجز من اتصف بالعبودية عن درك ما استبدت به الذات الأحدية **(والتعمق والنظر في ذلك)** لإدراكه **(ذريعة)** أي وسيلة **(الخذلان)** بالضم: ترك العون والنصرة **(وسُلَّم الحرمان)** عن الثبات على صحيح الإيمان **(ودرجة)** أي مرقاة **(الطغيان)** أي الزلل عما عليه الراسخون أهل العرفان **(فالحذر)** أي الحذر **(كل الحذر من ذلك نظراً أو فكراً أو وسوسة)** فإن ذلك من مكائد الشيطان، فمتى خلج في خاطرك فاستعذ منه بالرحمن، وفوض العلم لعالمه بالتصديق والإذعان **(فإن الله تعالى)** قد **(طوى علم القدر عن)** جميع **(أنامه)** أي خلقه **(ونهاهم عن مرامه)** أي طلبه **(كما قال في)** محكم **(كتابه)** عز وجل **(لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** [الأنبياء: ٢٣] **فمن سأل: لم فعل؟ فقد)** وقع في الزلل لأنه قد **(ردّ حكم كتاب الله)** تعالى **(ومن ردّ حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين)** فهذا قياس اقتراني من الشكل الأول كل من مقدمتيه بديهي التسليم فينتج مُسلَّماً من سأل لم فعل كان من الكافرين.

(فهذا جملة ما يحتاج إليه) مريد اليقين **(من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى)** المتقين **(وهي)** أي صفة التسليم **(درجة)** أي مرقاة **(الراسخين في العلم)** (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) [آل عمران: ٧].

(لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود) وفيه مرغوب، وإليه مندوب **(وعلم في الخلق مفقود)** استأثر بعلمه علام الغيوب **(فإنكار العلم الموجود)** برد أو طعنٍ أو تهاونٍ بالحدود **(كُفر)** بلا خلاف وجحود. **(وادعاء العلم المفقود)** الذي استأثر بعلمه علام الغيوب **(كفر)** أيضاً وعتود **(و)** لذا **قال (لا يصح الإيمان إلا بقبول العلم الموجود)** والعمل على مقتضاه **(وترك طلب العلم المفقود)** بالتسليم وتفويض علمه لمولاه.

(ونؤمن باللوح) المحفوظ، وهو جسم عظيم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله تعالى ما هو كائن إلى يوم القيامة. **(والقلم)** وهو جسم عظيم نوراني خلقه تعالى من نوره، فنؤمن بأنهما مخلوقان لله تعالى موجودان ثابتان كما وردت

به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قال تعالى: (فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) [البروج: ٢٢] وقال: (نْ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [القلم:١] وفي الهيئة السنية للجلال السيوطي: أخرج أبو الشيخ من طريق مالك بن دينار عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن لله لوحاً إحدى وجهيه ياقوتة حمراء، والوجه الثاني زمردةٌ خضراء، قلمه النور، فيه يخلق، وفيه يرزق، وفيه يحيي، وفيه يميت، وفيه يعز، وفيه يفعل ما يشاء في كل يوم وليلة، وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الله أول شيء خلق القلم، وهو من نوره مسيرةُ خمسمائة عام، فأمَره فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة" ونؤمن **(بجميع ما فيه)**، الله تعالى **(قد رقم)** مما هو كائن على الوصف الذي وصفه **(فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء)** قد **(كتبه الله)** تعالى **(فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن)** أو على غير صفته **(لم يقدروا عليه)** حيث **(جف القلم)** وارتفعت الصحف **(بما هو كائن إلى يوم القيامة)**.

(و) نؤمن أن **(ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه)** ففي الأربعين النووية: عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(و) الواجب **(على العبد أن يعلم أن الله)** تعالى **(قد سبق علمه في كل شيء كائنٍ من)** جميع **(خلقه وقدّر ذلك)** وقضاه **(بمشيئته)** وإرادته **(تقديراً محكماً مبرماً)** وأنه **(ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا زائد ولا ناقص من)** جميع **(خلقه في سماواته وأرضه وذلك من عقد الإيمان)** من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الإيمان المعقود عليه بالإيقان **(و)** من **(أصول المعرفة)** لأهل العرفان.

(والاعتراف) بالرفع عطفاً على المصدر المتأول من أن يعلم أي الواجبُ العلم، والاعتراف **(بتوحيد الله)** تعالى بأنه هو الموجد للكائنات بأسرها من غير تأثير لدهر أو لنوْء أو غيرها من الأسباب العادية فإنها غير مؤثرة بطبعها، وإنما المؤثر هو الله تعالى وحده عندها ولذا سميت عادية **(وربوبيته)** فيتصرف في ملكه بمشيئته على حسب ما سبق في علمه وحكمته **(كما قال تعالى في كتابه العزيز: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً)** [الفرقان: ٢] **وقال تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً)** [الأحزاب: ٣٨]) فهذا وغيره من الآيات الكثيرة إخبار منه تعالى بأنه الخالق لكل شيء والمقدر له فمن لم يعترف بذلك فهو خصمه **(فويل لمن صار له الله في القدر خصيماً وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً)** وعقلاً ذميماً فإنه **(لقد التمس بوهمه في محض الغيب سراً كتيماً وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً)**.

(و) نقول **(العرش)** وهو في اللغة: السرير، ومعناه هنا كما قال اللقاني [رحمه الله تعالى]: هو جسم عظيم نوراني علوي، محيط بجميع الأجسام. قيل: هو أول المخلوقات وجوداً عينياً، ولا قطع لنا بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، وإن أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال: إن الله خلق العرش من نوره، والكرسيّ بالعرش ملتصق والماء كله في جوف الكرسي، والماء على متن الريح، وحول العرش أربعة أنهار: نهر من نور يتلألأ، ونهر من نار تتلظى، ونهر من ثلج أبيض تلتمع منه الأبصار، ونهر من ماء، والملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون الله تعالى وللعرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلهم يسبح الله تعالى ويذكره بتلك الألسنة وفي شرح البخاري لشيخ الإسلام أن العرش فوق العالم وأنه ليس بكرة كما يزعم كثير من أهل الهيئة بل قبة ذات قوائم تحمله الملائكة. انتهى: قلت: ويمكن الاستدلال على أن العرش والكرسي على صورة الكرة كما يزعمه أهل الهيئة، بما

ورد في الحديث: "بأن السماوات السبع مع الكرسي كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة" فإن تخصيص الحلقة بالتمثيل بها في السماوات والكرسي، وذكر العرش معها مؤذن بذلك فإن الحلقة مستديرة كما هو المتبادر والله أعلم. وقال البيضاوي في تفسيره: والعرش: الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك، فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل: المُلك ا هـ. أي قيل: إن العرش هو الملك كما قيل ذلك في الكرسي أيضاً يعني ملك السماوات والأرض. كذا في المطالب الوفية.

(والكرسي) بضم الكاف وربما كسرت وهو جسم عظيم نوراني بين يدي العرش ملتصق به، لا قطع لنا بحقيقته فنمسك عنها لعدم العلم بها وأخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ عن أبي ذر [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة" وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: الكرسي الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم. وأخرج الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في المستدرك وصححه على شرط الشيخين عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره، كذا ذكره اللقاني. وفي رشف النصائح للسهروردي رحمه الله تعالى قال: ومما ورد من عظيم قدرة الله تعالى وخلقه الذي تتضاءل دون إدراكه العقول وتتلاشى الأفهام في وصف الكرسي يقول الله تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) [البقرة: ٢٥٥] ورد: أن كل قائمة من الكرسي طولها مثل السماوات السبع والأرضين السبع وهو بين يدي العرش، ويحمل الكرسي بأربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى خمسمائة عام، ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور يسأل للأنعام الرزق من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد يسأل للأنعام الرزق من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة إلى السنة، وعن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر [رضي الله عنه] قال: قلت: يا رسول الله أي آية نزل عليك أعظم، قال: "آية الكرسي"، ثم قال: "يا أبا ذر. ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة: وفي بعض الأخبار: أن بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعون حجاباً من ظلمة، وسبعون حجاباً من نور، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة سنة ولولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش. كذا في المطالب الوفية.

كل منهما **(حق)** ثابت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية قال تعالى: (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [التوبة: ١٢٩] وقال تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) [البقرة: ٢٥٥] وقد مر من الأحاديث ما فيه الكفاية.

(وهو عز وجل مستغنٍ) بذاته **(عن العرش وما دونه)** قال الإمام في وصيته: وهو الحافظ للعرش وغير العرش **(محيطٌ)** علمه **(بكل شيء)** حواه **(وبما فوقه)** وبما تحته وما والاه **(و)** هو سبحانه وتعالى **(قد أعجز عن الإحاطة)** بكنهه **(خلقه)** سبحان من لا يبلغ الواصفون وصفه، ولا يقدر أحد قدرَه.

(ونقول: إن الله) قد **(اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً)** أتى بالمصدر المؤكد لدفع حمل الكلام على المجاز كما نص في كتابه تعالى تنويهاً في شأنهما وتعليماً فنؤمن أنه موصوف بذلك على المعنى الذي أراده **(إيماناً)** ثابتاً **(و)** نصدق به **(تصديقاً)** لازماً **(و)** نسلّم بجميع ما وصف به ذاته العلية في كتابه أو على لسان نبيه **(تسليماً)**

خالصاً عن التأويل، وننزهه عما يستحيل في حقه من ميل القلب وعطفه والكلام الذي هو بالآلة من الحرف والصوت وغير ذلك.

وقد اختلف في أن المسموع هل هو الكلام النفسي أو ما يدل عليه قال في المسايرة: قال الإمام الأشعري: الكلام النفسي مما يسمع قاسه على رؤية ما ليس بلون فكما عقل رؤية ما ليس بلون ولا جسم فليعقل سماع ما ليس بصوت، واستحال الماتريدي سماع ما ليس بصوت، وعنده سمع موسى عليه السلام صوتاً دالاً على كلام الله تعالى وخص به أعني باسم الكليم لأنه بغير واسطة الكتاب والمَلَك وهو أوجَه، لأن المخصوص باسم السمع من العلم ما يكون إدراك صوت وإدراك ما ليس بصوت قد يخص باسم الرؤية، وقد يكون له الاسم الأعم أعني العلم مطلقاً، أي عن التقييد بمتعلق خاص، ثم قال: وبعد اتفاق أهل السنة على أنه تعالى متكلم لم يزل متكلماً به، اختلفوا في أنه تعالى هل هو مكلم لم يزل مكلماً، فعن الأشعري: نعم، وعن بعض أهل السنة ونقله بعض متكلمي الحنفية عن أكثره: لا. وهو عندي حسن، فإن معنى المكلمية لا يراد به هنا نفس الخطاب الذي يتضمنه الأمر والنهي كـ [قوله تعالى]: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) [التوبة: ٥] (لا تَقْرَبُوا الزِّنَا) [الإسراء: ٣٢] لأن معنى الطلب يتضمنه ولا يختلف فيه إذ هو داخل في الكلام القديم، وإنما يراد به إسماع لمعنى (اخْلَعْ نَعْلَيْكَ) [طه: ١٢] وحاصل هذا عروض إضافة خاصة للكلام القديم بإسماعه لخصوص بلا واسطة معتادة، ولا شك في انقضاء هذه الإضافة بانقضاء الإسماع، فإن أريد به غير هذين الأمرين فليبين حتى ينظر فيه والله أعلم ا هـ.

(ونؤمن بالملائكة) المكرمين **(و)** بجميع **(النبيين)** والمرسلين **(و)** بجميع **(الكتب المنزلة على)** الأنبياء **(المرسلين)** صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين **(ونشهد أنهم)** كلهم **(كانوا على الحق المبين)** وعن جميع ما يؤدي إلى نقص مراتبهم العلية معصومين **(ونسمي أهل قبلتنا)** وهم الذين شهدوا شهادتنا واستقبلوا قبلتنا وصلوا صلاتنا وأكلوا ذبيحتنا **(مسلمين)** و **(مؤمنين)** وإن وصفوا بارتكاب الكبائر فاسقين **(ما داموا)** أي مدة دوامهم **(بما)** أي بالذي **(جاء به النبي عليه الصلاة والسلام معترفين وله)** صلى الله عليه وآله وسلم **(بكل ما قال وأخبر)** به **(مصدقين)** جازمين به **(غير مكذبين)** ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تُخفروا الله في ذمته" وفيه: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله".

(و) مما يجب علينا أننا **(لا نخوض في)** ذات **(الله)** تعالى. روي عن أبي حنيفة أنه قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه.

(ولا نماري) أي لا نداهنُ وهي عدم المبالاة **(في دين الله تعالى ولا نجادل)** أحداً **(في القرآن)** العظيم بل نعتقد **(ونعلم أنه كلام رب العالمين نزل به)** جبرائيل **(الروح الأمين فعلّمه سيدَ)** الأنبياء و **(المرسلين)** نبينا **(محمداً صلى الله عليه وعلى آله)** الأكرمين **(وصحبه أجمعين)** روي عن أبي يوسف أنه قال: كنت عند أبي حنيفة إذ دخل عليه جماعة في أيديهم رجلان فقالوا: إن أحد هذين يقول: إن القرآن مخلوق، والآخر ينازعه ويقول: القرآن غير مخلوق فقال رضي الله عنه: لا تصلوا خلفهما. فقلت: أما الذي يقول القرآن مخلوق فنعم، لأنه لا يقول بقدم القرآن، وأما الآخر فما باله لا يصلى خلفه؟ قال: إنهما تنازعا في الدين، والمنازعة في الدين بدعة **(وكلام الله تعالى لا**

يساويه) ولا يشبهه **(شيء من كلام المخلوقين)** لأنه صفة من صفات رب العالمين، وقد تقدم لك أن من شبه من صفات الله بشيء من صفات المخلوقين كان من الكافرين.

(ولا نقول بخلق القرآن) لأن الخلق صفة المحدَث العديم والقرآن كلام الله قديم **(و)** مما يجب علينا أننا **(لا نخالف جماعة المسلمين)** السواد الأعظم أهل السنة والجماعة، فإن الله تعالى عصم هذه الأمة عن الاتفاق على الضلالة، فمن خالفهم كان ضالاً قال تعالى (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً) [النساء: ١١٥] فإن قيل: الوعيد متعلق بالمجموع وهو المشاقة والاتباع قلنا: بل بكل واحد وإلا لم يكن في ضمه إلى المشاقة فائدة، وذلك لأنه تعالى جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، ولا شك أن مشاقة الرسول وحدها توجب الوعيد، فلولا أن الاتباع المذكور كذلك لم يكن في ضمه إلى المشاقة فائدة وكان الكلام حينئذٍ ركيكاً، كما لو قال: من يشاقق الرسول ويأكل الخبز. وإذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين حراماً ولا شك أن اتباع سبيل من السبل واجب لقوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) [يوسف: ١٠٨] الآية فيكون الواجب اتباع سبيل المؤمنين، ثم سبيل المؤمنين لا يمكن أن يكون غير ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه إذا كان كذلك فاتباع غيره يكون مخالفة الرسول، كذا في التوضيح لصدر الشريعة.

(ولا نقول: لا يضر مع الإسلام ذنبٌ لمن عمله) خلافاً للمرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر حسنة، فحسناتنا مقبولة وسيآتنا مغفورة، وباينتهم المعتزلة والخوارج فقطعوا بعقابه، وتوسطت أهل السنة فلم يقطعوا بعقاب ولا ثواب لعاص ولا لأواب، بل فوضوا أمره إلى رب الأرباب **(و)** قالوا **(نرجو)** أي نؤمل من فضل الله إنجاز ما وعده **(للمحسنين من المؤمنين و)** لكن **(لا نأمن عليهم)** مكر الله تعالى إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون **(ولا نشهد لهم بالجنة)** بما هم لها مقدمون وبها إن قبلت أعمالهم موعودون.

واعلم أن للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال: أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي، وهذا أمر قطعي لا نزاع فيه. والثاني: أن يشهد لكل مؤمن جاء نص في حقه، وهو قول كثير من العلماء وعليه المصنف كما سيأتي. والثالث: أن يشهد لمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين: أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير فقال عليه الصلاة والسلام: "وجبت" ومر بأخرى فأثني عليها بشر فقال: "وجبت" فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت؟ فقال: "هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله تعالى في الأرض" **(ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم)** مما أعد لهم **(و)** لكن **(لا نقنطهم)** ونؤيسهم من رحمة الله تعالى إذ لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

(والأمن) من مكر الله تعالى **(والإياس)** من روح الله **(ينقلان عن الملة)** الإسلامية لما تلونا **(وسبيل)** القول **(الحق)** ما **(بينهما)** وهو القول **(لأهل القبلة)** وفي شرح العقائد: فإن قيل الجزم بأن العاصي يكون في النار يأس من الله تعالى، وبأن المطيع يكون في الجنة أمن من الله تعالى فيكون المعتزلي كافراً مطيعاً كان أو عاصياً، لأنه إما آمن أو آيس، ومن قواعد أهل السنة: أن لا يكفر أحد من أهل القبلة، قلنا: هذا ليس بيأس ولا أمن، لأنه على تقدير العصيان لا ييأس أن يوفقه الله تعالى للتوبة والعمل الصالح، وعلى تقدير الطاعة لا يأمن أن يخذله، فيكتسب المعاصي وبهذا يظهر الجواب عما قيل: إن المعتزلي إذا ارتكب كبيرة لزم أن يكون كافراً لييأسه من رحمة الله تعالى ولاعتقاده أنه ليس بمؤمن، وذلك لأنا لا نسلم أن استحقاقه النار يستلزم اليأس، وأن اعتقاده عدم إيمانه المفسر بمجموع التصديق والإقرار والأعمال بناء على انتفاء يوجب الكفر. هذا والجمع بين قولهم: لا يكفر أحد من أهل القبلة وقولهم: بكفر من قال بخلق القرآن واستحالة الرؤيا أو سب الشيخين وأمثال ذلك مشكل ا هـ.

وأقول: قد ذكر العلامة البخاري: أن إطلاق مشايخنا الكفر بالكلمات المذكورة ونحوها ليس على ظاهره بل تغليظاً يريدون به التنفير أو مقيد باعتقاد ما يكون به اللفظ كفراً ويرشد إلى هذا قوله:

(ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما) أي الذي **(أدخله فيه)** أي في الإيمان وهو الإقرار بالتوحيد والإذعان به، وبكل ما عُلم بالضرورة أنه من الدين.

كما ذكره بقوله: **(والإيمان هو)** أي حقيقته **(الإقرار)** بالوحدانية وحقيقة الرسالة **(باللسان والتصديقُ بالجنان)** أي قبول القلب وإذعانه لما عُلم بالضرورة أنه من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحيث تعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال، كالوحدانية، والنبوة، والبعث والجزاء، ووجوب الصلاة والزكاة وحرمة الخمر ونحوها، ويكفي الإجمال فيما يلاحظ إجمالاً، كالإيمان بالملائكة، والكتب والرسل، ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلاً، كجبريل وميكائيل، وموسى وعيسى، والتوراة والإنجيل، حتى إن من لم يصدق بواحد معين منها كافر. واعلم أن كلاً منهما ركن إلا أن التصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلاً، والإقرار قد يحتمله كما في حالة الإكراه والعجز. وفي المسايرة في أول الخاتمة في بحث الإيمان ومفهومه: فقيل: هو التصديق بالقلب فقط وهو المختار عند جمهور الأشاعرة، أو مع الطاعة وهو قول الخوارج ولذا كفروا بالذنب لانتفاء جزء الماهية، أو باللسان فقط وهو قول الكرامية، فإن طابق تصديقَ القلب فهو مؤمن ناج، و إلا فهو مؤمن مخلد في النار، أو بالقلب واللسان وهو منقول عن أبي حنيفة ومشهور عن أصحابه والمحققين من الأشاعرة قالوا: لما كان الإيمان التصديق، والتصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان فيكون كل منهما ركناً في الباب، لا يثبت الإيمان إلا بهم إلا عند العجز، وكذا الاحتياط واقع عليه، والنصوص دالة عليه، وذكروا ما تعلقت به يعني الكرامية يعني من نحو قوله عليه الصلاة والسلام: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ومن قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ) الآية [النحل: ١٠٦] جعل المتكلم كافراً مع أن قلبه مطمئن بالإيمان، ولكن عفي عنه، وإذا كان كافراً باعتبار اللسان يكون مؤمناً باعتباره لاتحاد مورد الإيمان والكفر وصرح بالآية بإثبات الإيمان للقلب والكفر أيضاً له بقوله (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً) [الآية تتمة التي تقدمت] وهو محل اتفاق بين الفريقين فوجب كون الإيمان بهما وهو الاحتياط، إلا أن قول صاحب العمدة منهم يعني الحنفية: الإيمان هو التصديق فمن صدق الرسول فيما جاء به فهو مؤمن بينه وبين الله تعالى والإقرار شرط إجراء الأحكام هو بعينه القول المختار عند الأشاعرة والمراد أن أحكام الدنيا من الصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابر المسلمين وغير ذلك. واتفق القائلون بعدم اعتبار الإقرار على أنه يعتقد أنه متى طولب به أتى به فإن طولب به فلم يقر فهو كفر وعناد وهذا ما قالوا: إن ترك العناد شرط وفسروه به. وبالجملة فقد ضم إلى التصديق بالقلب أو بهما في تحقيق الإيمان وإثباته أمور؛ الإخلال بها إخلال بالإيمان اتفاقاً، كترك السجود للصنم، وكقتل نبي أو الاستخفاف به أو بالمصحف والكعبة، وكذا مخالفة ما أجمع عليه وإنكاره بعد العلم به قال الإمام أبو القاسم الأسفراييني بعد ذكرها: إذا وجد ذلك دلنا على أن التصديق الذي هو الإيمان مفقود من قلبه ا هـ. بحروفه أقول: وهذه إحدى المسائل الثلاث التي ذكر السبكي أن المصنف خالف فيها الأشعري **(و)** نقول **(أن جميع ما أنزل الله)** تعالى **(في القرآن)** من الإخبار عما سلف ويكون في الأزمان وأحوال الآخرة من الصراط والميزان والجنان والنيران **(و)** كذلك **(جميع ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الشرع والبيان كله حق)** وصدق بإذعان وإيقان.

(و) نقول **(الإيمان)** وكذلك الإسلام لتلازمهما مفهوماً فقد اتفق أهل الحق أنه لا إيمان بلا إسلام وعكسه لجميع الأنام من أهل الأرض والسماء **(واحد)** لأنه التصديق البالغ حد الجزم والإذعان الذي لا يقبل التشكيك **(وأهله)** من

الملائكة والأنبياء والأولياء وسائر المؤمنين الأبرار والفجار **(في أصله)** الذي هو التصديق كلهم فيه **(سواء)** أي لا تفاضل فيه من حيث ذاته، ولا يزيد ولا ينقص **(و)** إنما **(التفاضل بينهم)** والزيادة والنقص **(بالتقوى ومخالفة الهوى)**.

وفي المسايرة قال أبو حنيفة وأصحابه: لا يزيد الإيمان ولا ينقص، واختاره من الأشاعرة إمام الحرمين وكثير، وذهب عامتهم إلى زيادته ونقصانه قيل: والخلاف مبني على أخذ الطاعات في مفهوم الإيمان وعدمه، فعلى الأول يزيد بزيادتها، وينقص بنقصانها، وعلى الثاني لا لأنه اسم للتصديق الجازم مع الإذعان، وهذا لا يتغير بضم الطاعات ولا ضم المعاصي وفيه نظر، بل قال: بزيادته ونقصانه كثير ممن صرح بأنه مجرد التصديق لظواهر كقوله تعالى: (زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) [الأنفال: ٢] وعن ابن عمر قلنا: يا رسول الله: إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: "نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار" وقالوا: لا مانع عقلاً من ذلك، بل اليقين الذي هو مضمون التصديق يتفاوت قوة في نفسه من أجلى البديهيات إلى أخفى النظريات القطعية، ولذا قال إبراهيم عليه السلام حين خوطب بقوله: (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [البقرة: ٢٦٠] والحنفية ومعهم إمام الحرمين وغيره لا يمنعون الزيادة والنقصان باعتبار جهات هي غير نفس الذات، بل بتفاوته يتفاوت المؤمنون.

وروي عن أبي حنيفة أنه قال: أقول إيماني كإيمان جبريل، ولا أقول مثل إيمان جبريل، لأن المثلية تقتضي المساواة في كل الصفات، والتشبيه لا يقتضيه، فلا أحد يسوي بين إيمان آحاد الناس وإيمان الملائكة والأنبياء، بل يتفاوت غير أن ذلك التفاوت بزيادة ونقص في نفس الذات أو بأمور زائدة عليها، فمنعوا يعني الحنفية وموافقيهم الأول وقالوا: ما يتخايل من أن القطع يتفاوت قوة، إنما هو راجع إلى جلائه، فإذا ظهر القطع بحدوث العالم بعد ترتب مقدماته كان الجزم الكائن فيه كالجزم في قولنا: الواحد نصف الاثنين، وإنما تفاوتهم باعتبار أنه إذا لوحظ هذا كان سرعة الجزم فيه ليس كالسرعة التي في الآخر خصوصاً مع عزوب النظر فيتخيل أنه إنما هو أجلي عند العقل، فنحن لو سلمنا ثبوت ماهية المشكك وأن مآبه التفاوت كشدة البياض الكائن في الثلج بالنسبة للكائن في العاج مأخوذ في ماهية البياض بالنسبة إلى خصوص محل لا نسلم أن ماهية اليقين منه لعدم ما يوجبه، ولو سلمنا أن ماهية اليقين تتفاوت لا نسلم أنه بمقومات الماهية بل بغيرها، وقد ذكروا يعني الحنفية وموافقيهم أنه يتفاوت بإشراق نوره وثمراته فإن كان زيادة إشراق نوره هو زيادة القوة والشدة فلا خلاف في المعنى، إذ يرجع النزاع إلى أن الشدة والقوة التي اتفقنا على ثبوت التفاوت بها زيادة ونقصاناً هل هي داخله في مقومات حقيقة اليقين أو خارجة عنها فقد اتفقنا على ثبوت التفاوت بأمر معين والخلاف في نسبته إلى تلك الماهية لا عبرة وإن كان زيادة إشراقه غير زيادة القوة فالخلاف ثابت ا هـ ثم قال: ولما كان ظاهر قول الخليل (بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) عدم الاطمئنان، وهو ينافي القطع وعدم التردد احتيج إلى تأويله فقيل: الخطاب مع الملك ليطمئن قلبه بأنه جبريل عليه السلام، والتأمل اليسير بنفيه وقيل: زيادة الاطمئنان ويرجع الكلام في معنى زيادته ويجيء فيه ما تقدم وقيل [طلب] حصول القطع بالإحياء بطريق آخر وهو البديهي بسبب وقوع الإحساس به وهو حسن، ولا يفيد في محل النزاع لأحد الفريقين، وحاصلة [أنه] لما قطع بذلك عن موجبه اشتاق إلى مشاهدة كيفية هذا الأمر العجيب الذي جزم بثبوته كمن قطع بوجود دمشق وما فيها من أجنة يانعة وأنهار جارية فنازعته نفسه في رؤيتها والابتهاج بمشاهدتها، فإنها لا تسكن ولا تطمئن حتى يحصل مناها، وكذا شأنها في كل مطلوب مع العلم بوجوده فليس تلك المنازعة والتطلب ليحصل القطع بوجود دمشق إذ الفرض ثبوته ا هـ تنبيه ما ورد من الآيات الدالة على زيادة الإيمان كقوله تعالى: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) [الأنفال: ٢] وقوله (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً) [التوبة: ١٢٤] وقوله (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً)

[المدثر: ٣١] وقوله (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً) [محمد: ١٧] وقوله (لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ) [الفتح: ٤] محمولة على ما ذكره أبو حنيفة رضي الله عنه أنهم كانوا آمنوا في الجملة ثم يأتي فرض بعد فرض، فكانوا يؤمنون بكل فرض، وحاصله أنه كان يزيد بزيادة ما يجب الإيمان به، وهذا لا يتصور في غير عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال السعد: وفيه نظر لأن الاطلاع على تفاصيل الفرائض ممكن في غير عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان واجب إجمالاً فيما علم إجمالاً وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، ولا خفاء في أن التفصيل أزيد بل أكمل من الإجمالي ا هـ. أقول: لا يخفى أن تلك التفاصيل لما كان الإيمان بها برمتها إجمالاً فالاطلاع على تفاصيلها لم ينقلب الإيمان من النقصان إلى الزيادة، بل من الإجمالي إلى التفصيل بخلاف ما في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الإيمان لما كان عبارة عن التصديق بكل ما جاء به من ربه، فكلما ازدادت تلك الجملة ازداد التصديق المتعلق به لا محالة، وأما قوله: فلا خفاء في أن التفصيلي أزيد بل أكمل، فكونه أكمل مسلم إلا أنه غير مفيد، وأما كونه أزيد ممنوع، ففي المطالب الوفية: ولا يخفى أن مثل هذه الزيادة في الاعتقاد وإن تفاوتت كما ذكر، ليست زيادة في أصل الإيمان إنما هي زيادة في وصفه كالإنسان المريض والإنسان القوي صاحب العافية، فإن الإنسانية فيهما على السواء من غير تفاوت، وإنما القوة والضعف في أوصافهما لا في ذاتهما، والزيادة في وصف الشيء ليست زيادته في ذاته، وإلا لكان المؤمنون كافرين بالنسبة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لزيادة إيمان الأنبياء بالنسبة إلى إيمانهم، ونقصان إيمانهم عن إيمان الأنبياء عليهم السلام فقد كفروا بتلك الزيادة، لعدم وجودها في إيمانهم وهو باطل، بل زيادة إيمان الأنبياء عليهم السلام من حيث القوة، وقد علمت أنها زيادة في الوصف لا في أصل الإيمان، فليست زيادة في الإيمان فلا يزيد الإيمان ولا ينقص وإنما يقوى ويضعف فلا عليك مما ذكر ابن قاضي عجلون تبعاً لنظم الشيبانية حيث قال: وفي كون حقيقة التصديق لا تقبل الزيادة والنقص كلام لبعض المحققين مبسوط في المطولات وتبعه الشيخ علوان الحموي وساق عبارتهما ونظر فيها إلى أن قال: والحاصل أن الخلاف لفظي، فمن قال بالزيادة والنقصان في الإيمان اعتبر زيادة أوصافه ونقصانها، كقوته وضعفه ومن نفى الزيادة والنقصان عنه نظر إلى ذاته التي هي مجرد التصديق في نفسه وهو الأولى بالاعتبار عند أولي الأبصار ا.هـ. وهذه المسألة الثانية من الثلاث التي ذكرها السبكي أن المصنف خالف فيها الأشعري ولم أقف على غيرهما في كلام المصنف ا هـ. وهو أخبر فمن ظفر بالثالثة فليلحقها في محلها إلا أن يكون فهم من قوله: له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق، ما فهمه الأئمة الماتريدية من أنه إشارة إلى قدم صفات الفعل وقد علمت ما فيه.

(والمؤمنون) بالتقوى كما في بعض نسخ المتن **(كلهم أولياء الرحمن)** جل وعلا قال تعالى: (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) [الأنفال: ٣٤] والأولياء جمع ولي بوزن فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، أو بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم، قال ابن عبد السلام: وكونه بمعنى فاعل أرجح لأن الإنسان لا يمدح إلا على فعل نفسه وقد مدحهم الله تعالى ا هـ. فعلى الأول يكون الولي من تولى الله عز وجل رعايته وحفظه، فلا يكله على نفسه كما قال تعالى: (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) [الأعراف: ١٩٦] وعلى الثاني يكون الولي من تولى عبادة الله عز وجل وطاعته، فهو يأتي بها على التوالي، آناء الليل وأطراف النهار ويجنح إلى هذا ما عرّفه به السعد في شرح العقائد حيث قال: هو العارف بالله حسب ما يمكن المواظبُ على الطاعات المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك باللذات والشهوات. وإلى الأول ما عرّف به السيد الشريف حيث قال: الولاية هي قيام العبد بالحق عن الفناء عن نفسه.

(وأكرمهم) عنده تعالى **(أطوعهم)** وأتقاهم له قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: ١٣] **(وأتبعهم للقرآن)** قال تعالى: (فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة: ٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه بأن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في العقبى ثم قرأ: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) [طه: ١٢٣].

(والإيمان) المطلوب من المكلف **(هو الإيمان)** أي الإقرار مع التصديق والإذعان **(بالله)** تعالى بأنه موجود بصفاته الواجبة له منزهاً عما يستحيل عليه **(وملائكته)** بأنهم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبأنهم سُفُر الله بينه وبين خلقه، يتصرفون فيهم كما أذن، صادقون فيما أخبروا به وأنهم بالغون في الكثرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى قال تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) [المدثر: ٣١] وقال عليه الصلاة والسلام: "أطّتِ السماء وحق لها أن تئط، ما من موضع قدم إلا وفيه ملك ساجداً أو راكعاً" **(وكتُبه)** بأنها كلام الله تعالى الأزلي القديم المنزه عن الحروف والأصوات، وبأنه تعالى أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة في ألواح أو على لسان ملك وبأن جميع ما تضمنته حق وصدق **(ورسله)** بأنه أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم فبلّغوا عنه رسالته وبينوا ما أمروا ببيانه. وبأنهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها على المختار، بل هو الصواب وما وقع في قصص يذكرها المفسرون مما يخالف ذلك لا يعتمد عليه ولا يلتفت إليه، وإن جل ناقلوه كالبغوي والواحدي وما جاء في القرآن من إثبات العصيان لآدم، ومن معاتبة جماعة منهم على أمور فعلوها، فهي من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما شاء وأن يعاتبه على خلاف الأولى معاتبة غيره على المعصية.

(واليوم الآخر) وهو من الموت إلى آخر ما يقع يوم القيامة وصف بذلك لأنه آخر يوم محدود. وقوله **(والبعث بعد الموت)** إما تأكيد لليوم الآخر، وإما من عطف الخاص على العام **(والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى)** أي بأن جميع ما قدر الله تعالى في أزليته لا بد من وقوعه، وما لم يقدره يستحيل وقوعه. وبأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره وإرادته لقوله تعالى: (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) [الأنعام:١٠١] (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: ٩٦] (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٩] ولخبر: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس. والكل من شرح الأربعين لابن حجر على حديث جبريل.

(ونحن مؤمنون بذلك كله ولا نفرق بين أحد من رسله) وكذا كتبه **(ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به)** من ربهم.

(و) نقول **(أهل الكبائر من أمة)** نبينا **(محمد صلى الله عليه وآله وسلم)** وكذا جميع أمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخصه بالذكر إما لاتفاق الحكم في جميع الأمم فإذا علم حكم أمته علم الحكم في جميع الأمم الماضية حيث كانوا كلهم جاؤوا بالتوحيد، وإما لكونهم داخلين في حكم أمته حيث كان العهد مأخوذاً عليهم إن أدركوه ليؤمنن به. فرسالته عامة لجميع الأمم والحاصل أن جميع أهل الكبائر من أهل التوحيد إذا أراد الله تطهيرهم **(في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين)** أي معترفين له بالتوحيد وبه **(مؤمنين)** بلا ترديد، وذلك لأن التخليد في النار من أعظم العقوبات وقد جعله الله جزاء الكفر الذي هو أعظم الجنايات، فلو جوزي به غير الكافر كان زيادة على قدر الجناية فيلزم منه خلف الوعد وذلك لا يجوز عليه تعالى قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [آل عمران: ٩] قال العلامة النووي في شرح صحيح مسلم: واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك وغيره من

المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل معصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخل الجنة ولا يدخلون النار أصلاً، لكنهم يردوها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة بمشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، وكما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل وهذا مختصر جامع لمذاهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تُحصِّل العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة له وجب تأويله عليها، ليجمع بين نصوص الشرع، وإذا تأملت ما حققه تجده عين ما ذكره المصنف حيث قال: **(وهم)** أي أهل الكبائر المتقدم ذكرهم **(في مشيئته)** تعالى **(وحكمه)** فهو سبحانه وتعالى **(إن شاء غفر لهم وعفا عنهم)** وذلك **(بفضله)** ورحمته **(كما قال تعالى في كتابه العزيز: (إِنَّ اللَّـهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ))** [النساء: ٤٨]. (وَكَانَ فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) [النساء: ١١٣] **(وإن شاء عذبهم في النار)** المعدّة لتطهير الأوزار **(بقدر جنايتهم)** وظلمهم لنفسهم وذلك **(بعدله)** وحكمته **(ثم يخرجهم منها برحمته)** التي وسعت كل شيء من بريته **(وشفاعة الشافعين من أهل طاعته)** كأنبيائه ورسله وملائكته وأهل معرفته وذلك بإذنه ومشيئته للأحاديث الكثيرة المتواترة المعنى منها: حديث أبي سعيد في الصحيحين أن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة، الحديث بطوله وفيه: "فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين" ومنها حديث الترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم "ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم" **(ثم يبعثهم إلى جنته)** دار كرامته **(وذلك بأن الله مولى)** أي ناصر **(أهل معرفته)** في دنياه وآخرته **(ولم يجعلهم في الدارين كأهل نُكرَته)** الجاحدين لتوحيده وقدرته **(الذين خابوا من هدايته)** لمعرفته **(ولم ينالوا من ولايته)** ما يرشدهم لتوحيده وعبادته.**(اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكّناً بالإسلام حتى نلقاك به)** راضياً عنا يوم الحشر وهوله فإنك المُهدي إليه والمنعم به.

(ونرى الصلاة) جائزة **(خلف كل بر)** مهتد **(وفاجر)** معتد حيث كان **(من أهل القبلة)** لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "صلوا خلف كل بر وفاجر" ولأن علماء الأمة كانوا يصلون خلف الفسقة وأهل الأهواء والبدعة من غير نكير وما نقل عن بعض السلف من المنع عن الصلاة خلف المبتدع فمحمول على الكراهية إذ لا كلام في كراهة الصلاة خلف الفاسق والمبتدع، وهذا إذا لم يؤد الفسق أو البدعة إلى حب الكفر وإلا فلا كلام في عدم جواز الصلاة خلفه. كذا في شرح العقائد.

(و) كذلك **(نصلي على من مات منهم)** أي أهل القبلة البر والفاجر بالشرط المتقدم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تدَعوا الصلاة على من مات من أهل القبلة" **(ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق)** وإن كان لازم مذهبهم لأن لازم المذهب ليس بمذهب قال في شرح المواقف: قال الشيخ أبو الحسن في أول كتاب مقالات الإسلاميين: اختلف المسلمون بعد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم في أشياء ضلل بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم عن بعض فصاروا فرقاً متباينين إلا أن الإسلام يجمعهم ويعمهم فهذا مذهبه وعليه أكثر أصحابنا. وقد نقل عن الشافعي أنه قال: لا أردّ شهادة أحد من أهل الأهواء إلا الخطّابية فإنهم يعتقدون حِلَّ الكذب، وحكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة: أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة، وحكى أبو بكر الرازي مثل

ذلك عن الكرخي وغيره ا هـ. **(ما لم يظهر منهم من ذلك)** اللازم **(شيء)** ظاهر كقولهم بذلك اللازم وتصريحهم به وليس لنا أن نلزمهم بلازم مذهبهم ونحكم عليهم على مقتضاه بكفر أو شرك أو نفاق، فإن في ذلك جرأة على الله تعالى ففي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" **(ونذر)** أي نترك **(سرائرهم إلى الله تعالى)** العالم بالسرائر **(ولا نرى السيف)** أي سفك الدم واجباً **(على أحد من أمة)** نبينا **(محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا)** على **(من وجب عليه السيف)** أي سفك الدم بالنص القاطع كالقاتل والزاني المحصن والمرتد. ففي البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة".

تنبيه: قد درج علماء الكلام على ذكر مبحث الإمامة وإن لم يكن منه، لكنه من المتممات. قال في العقائد النسفية: والمسلمون لا بد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق، وإقامة الجُمَع والأعياد، وقطع المنازعات الواقعة بين العباد، وقبول الشهادات القائمة على الحقوق، وتزويج الصغارالذين لا أولياء لهم، وقسمة الغنائم. ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهراً لا مخفياً منتظراً ويكون من قريش، ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببني هاشم وأولاد علي رضي الله عنه، ولا يشترط أن يكون معصوماً، ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه، ويشترط أن يكون من أهل الولاية سائساً، قادراً على تنفيذ الأحكام، وحفظ حدود دار الإسلام، وإنصاف المظلوم من الظالم. ولا ينعزل الإمام بالفسق والجور ا هـ. وقد أشار المصنف إلى بعض أحكامه بقوله:

(ولا نرى الخروج على أئمتنا و) لا **(ولاة أمورنا وإن جاروا)** بالظلم علينا لأنه قد ظهر الفسق، وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين. والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجُمَع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم، ولأن العصمة ليست بشرط الإمامة ابتداءً فبقاءً أولى. كذا في شرح العقائد. وفي سنن أبي داوود مرفوعا :" سيأتيكم ركيب مبغضون يطلبون منكم ما لم يجب عليكم، فإذا سألوكم ذلك فأعطوهم ولا تسبوهم ولتوفوا لهم" وفي الصحيحين :" من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية" وفي مسلم :" من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتيه من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعته" بل **(ولا)** ينبغي لنا أن **(ندعو على أحد منهم)** لما يلزم من نفرة القلوب ووقوع المشاقة وربما أغراهم ذلك على شدة الظلم **(ولا ننزع يداً من طاعتهم)** لما في ذلك من إثارة الفتنة **(ونرى طاعتهم من طاعةِ الله عز وجل فريضة)** علينا **(ما لم يأمروا بمعصية)** وإلا فلا طاعة لهم ، ففي شرح البخاري في باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية : واجب على المرأة أن لا تطيع زوجها في معصية، وكذلك كل من لزمته طاعةُ غيره فلا تجوز طاعته له في معصية الله تعالى، ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أمَّر على بعث، وأمر الناس بطاعته فأمرهم ذلك الأمير أن يقتحموا في نار أججها لهم فامتنعوا منها وقالوا : لم ندخل الإسلام إلا فرارا من النار. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:" والله لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف" وقد صوَّب فعلهم وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:" لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " كذا في كتاب الصلح بين الإخوان لسيدي عبد الغني [النابلسي] وفي البخاري عن عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعنا فكان فيما أخذ علينا أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من

الله فيه برهان" وينبغي لنا أن **(و ندعو لهم بالصلاح)** أي إصلاح نيتهم، وسلامة طويتهم **(والنجاح)** أي نجاح طلبتهم في قهر مخالف ملتهم **(والمعافاة)** مما هم فيه من ظلم رعيتهم وسيئ سيرتهم.

(ونتبع) أهل **(السنة)** المحمدية **(والجماعة)** المرضية **(ونجتنب الشذوذ)** أي الانفراد **(والخلاف والفرقة)** عما عليه الفرقة المحقة **(ونحب)** لله تعالى **(أهل العدل والأمانة)** لكونهم بذي الصفة من الديانة **(ونبغض)** ضدهم **(أهل الجور والخيانة)** لكونهم كذلك من الظلم والضلالة. وهذه حقيقة المحبة والبغض المُنَوه بشأنهما من صاحب الرسالة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان" **(ونرى المسح على الخفين)** جائزاً **(في السفر والحضر كما جاء)** فِعْلُ الشارع له **(في الأثر)** روي عن الحسن البصري أنه قال: حدثني سبعون رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه مسح على الخفين. وعن الإمام أحمد: ليس في قلبي من المسح شيء فيه أربعون حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرفوعة وموقوفة. وقال الكرخي: أخاف الكفر على من لم ير المسح على الخفين، لأن الآثار جاءت فيه في حيز التواتر. وعن أبي حنيفة: ما قلت حتى جاءني فيه مثل ضوء النهار. وروي عنه أنه سُئِلَ عن مذهب أهل السنة والجماعة فقال: هو أن تفضل الشيخين وأن تحب الختنين، وأن ترى المسح على الخفين. كذا في شرح المنية. وروي نحوه عن الإمام المالك

(و) نقول **(الحج والجهاد)** في سبيل الله تعالى **(فرضان)** ثابتان **(ماضيان)** مع الصحة **(مع أولي الأمر من أئمة المسلمين بَرِّهم)** أي عادلهم **(وفاجرهم)** أي ظالمهم **(لا يبطلهما شيء)** من ذلك الظلم **(ولا ينقضهما)** لأن برالإمام ليس بشرط لصحتها، وقد كان السلف من الصحابة والتابعين يحجون ويجاهدون مع كل إمام بَرٍ أو فاجرٍ، من غير نكير فكان ذلك إجماعاً. وفي صحيح البخاري في "بابٌ الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر" لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "الخيل معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة" قال القسطلاني: وذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة وفرة بالأجر والمغنم، المقترن بالأجر إنما يكون بالجهاد ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً، فدل على أنه لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر، وإن الإسلام باقٍ وأهله إلى يوم القيامة لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين، وهم المسلمون. وفي حديث أبي داود عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعاً: "الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً، وإن عمل الكبائر" وإسناده لا بأس به إلا أن مكحولاً لم يسمع أبا هريرة، وفي حديث أنس عنده أيضاً مرفوعاً: "والجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل" ا هـ.

(ونؤمن بـ) الملائكة **(الكرام الكاتبين وأن الله قد جعلهم)** لأفعال العباد مما لهم وعليهم **(حافظين)** أي لا يهملون من شأنهم شيئاً فعلوه، قصداً أو ذهولاً أو نسياناً، صحة أو مرضاً قال الإمام مالك: يكتبون على العبد كل شيء حتى أنينه في مرضه، محتجاً بإفادة الآية العموم وهي قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: ١٨] وحينئذ يدخل في العبد الكافر لأنه تضبط أنفاسه وأعماله له أو عليه قال النووي: والصواب الذي عليه المحققون بل نقل فيه بعضهم الإجماع أن الكافر إذا فعل أفعالاً جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الإسلام أن ثواب عمله يكتب له، أما دعوى مخالفته للقواعد فغير مسلمة ا هـ. قلت: وضابطه كما قاله بعضهم: إذا كانت لا تتوقف على نية، وذكر بعضهم أن المعقبات في قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [الرعد: ١١] غير الكاتبين بلا خلاف، وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كم ملكاً على الإنسان فذكر عشرين ملكاً. قال المهدي في الفيصل وذكر الآبي: أنه يحفظ لابن عطية: أن كل آدمي

يوكل به من حين وقوعه نطفة في الرحم إلى موته أربعمائة مَلَك كذا ذكره اللقاني، وعلى ذلك ففي كلام المصنف مسألتان وظاهر الآثار أن الكَتْب حقيقي وعلم الآلة مفوض إلى الله تعالى.

(ونؤمن بملك الموت الموكل) من الله تعالى **(بقبض أرواح العالمين)** عند انتهاء آجالها. والعالمين: جمع عالم، وهو اسم لما يعلم به كالخاتم غُلِبَ فيما يعلم به الصانع، وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض، فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده واختُلِفَ هل القبض من مقرها أو من يد أعوانه المعالجين لنزعها من برغوث وبعوض وبشر وملك وجن، براً وبحراً، حتى روح نفسه كما قيل، وقيل: يقبضها الله تعالى، كما قيل: أنه يقبض أرواح شهداء البحر. وروي أنه سُئِلَ الإمام مالك: أيقبض أرواح البراغيث؟ فقال: ألها أنفس؟ قيل: نعم. قال: يقبضها. واختلف في حقيقة الروح، ومذهب أهل السنة من المتكلمين والمحدثين والفقهاء والصوفية، أنها جسم لطيف متخلل في البدن تذهب الحياة بذهابها. وعبارة بعض المحققين: هي جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الخضر، وبه جزم النووي ونقل تصحيحه عن أصحابهم، وابن عرفة المالكي ونقل تصحيحه عن أصحابهم كذا ذكره اللقاني **(و)** ونؤمن **(بعذاب القبر لمن كان له)** أي للعذاب **(أهلاً)** كما دلت عليه الآيات كقوله تعالى: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) الآية [السجدة: ٢١] وقوله (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً) [المؤمن (غافر): ٤٦] وكذلك الأخبار كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة الدجال" الحديث وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في صاحبي القبرين اللذين غرز عليهما الجريدة: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير" ثم قال: "بلى أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" كذا في المسايرة **(و)** نؤمن **(بسؤال)** الملكين **(منكر ونكير للميت)** مطلقاً، وقيل للكافر فقط، وتسميتهما بمنكر ونكير ليست على جهة الذم، وإنما هي لقب وليس في الأسماء والذوات قبيح ولا حسن للذات، والمتعارف أنهما اثنان، وفي حلية أبي نعيم: ثلاثة: منكر ونكير وناكور. وحكى العراقي: أن ملكي المؤمن مبشر وبشير. كذا ذكره المنلا إلياس وقوله **(في قبره)** جرى على الغالب، وإلا فمن أكلته السباع وأحرقته النار ومن لم يدفن يأتيانه من حيث شاء الله تعالى ويسألانه كما يعلم الله تعالى، وكأن المصنف جرى على ظاهر الحديث، ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إذا قُبِرَ الميت" أو قال: "أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر والآخر نكير، ويقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول [ما] كان يقول فيه هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يُفسَحُ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: حتى أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس [التي] لا يوقظها إلا أحب أهلها منها، فينام حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك" قال الترمذي: حديث حسن غريب. فيسألانه **(عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين)** فإن له حكم المرفوع إليه صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لا يقال من قِبَل الرأي. قال اللقاني: السؤال في القبر عن العقائد فقال يقول المَلَك للميت: من ربك؟ وما دينك؟ وما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ وفي رواية: ومن أبوك وما قبلتك؟ وفي أخرى: الاقتصار على تلك المذكورات وجُمِعَ باختلاف المسؤولين أو بأن بعض الرواة اقتصر وبعضهم أتم ا هـ.

(والقبر) بعد ذلك على صاحبه **(روضة من رياض الجنة أو حفرةٌ من حفر النار)** بحسب الثبات والارتياب. أخرج الترمذي والنسائي والحاكم بسند صحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن القبر أول منزل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه. واعلم أن أهل الحق اتفقوا على أن الله تعالى يخلق في الميت نوع حياة في القبر، قدر ما يتألم ويلتذ، لكن اختلفوا في أنه هل تعاد الروح إليه أم لا؟ والمنقول عن الإمام أبي حنيفة التوقف.

(ونؤمن بالبعث) لجميع العباد ويعيدهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ويعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء بينهم، وهذا كله ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقد ورد فيه من الآيات الدالة عليه ما يقارب في الكثرة آيات الأحكام وأكثرها لا يحتمل التأويل مثل قوله تعالى: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) [ياسين: ٧٨] وقوله: (فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) [ياسين: ٥١] وقوله: (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الإسراء: ٥١] وقوله (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) [القيامة: ٣] وقوله: (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) [ق: ٤٤] وقوله: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) [الأعراف: ٢٩]. وأما السنة فقد ورد في ذلك ما يبلغ جملته مبلغ التواتر المعنوي، ولا شك الآن أن الحشر صار من ضروريات الدين فإنكاره كفرٌ بيقين. كذا ذكره اللقاني **(و)** نؤمن **(بجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب)** أي كتاب عمله كما قال تعالى: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً) [الإسراء: ١٣] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يدني المؤمن فيضع كنفه ويستره [من الناس ويقرره بذنوبه] فيقول أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربي. حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذي كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين" **(و)** نؤمن بـ **(الثواب)** للمطيع **(والعقاب)** للعاصي حسب وعده ووعيده **(والصراط)** أنه حق، وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر. كذا في عقيدة الإمام الغزالي قال شارحها العلامة المنلا إلياس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعند رأس الصراط داع يقول: استقيموا على الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وفي لفظ: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا وفوق ذلك داع يدعو: كلما همَّ عبد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تَلِجْهُ" ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الإسلام وأن الأبواب المفتحة محارم الله، وأن الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن، فإذا كان الصراط هو الإسلام فمن لا إسلام له لم يدخل الصراط في الدنيا، فلا سلكه يوم القيامة إذا صار محسوساً. هذا وأما ما نقل عن القرافي أنه قال: لم يصح في الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف شيء فكلام لا يصح لأن مرسل الصحابي في حكم الوصل على الصواب. وقد ورد في الخبر المروي: "أن الصراط يظهر يوم القيامة فيه للأبصار على قدر أنوار الناس فمن الناس من يكون له على الصراط يمشي شعاعه بين يديه وعن يمينه وعن شماله فرسخاً وأكثر وأقل، فيتسع الصراط في حقه على قدر نوره فأقلهم نوراً هو أخفى من الشعر وأحد من السيف". ا هـ كلام المنلا إلياس.

(والميزان) الذي **(يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشر والطاعة والمعصية)** هو ميزان حقيقي بكفتين ولسان كل كفة طباق السماوات والأرض: كفة من نور والأخرى من ظلام، فالنيرة للحسنات والمظلمة للسيئات. واعلم أن من الأخيار من لا يوزن له عمل، ولا ينشر له كتاب كأهل البلاء، وكذلك من الأشرار، بل يُزف الأولون إلى الجنة

من غير وزن ولا حساب، ويساق الآخرون إلى النار كذلك بدليل قوله تعالى: (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً) [الكهف: ١٠٥] كذا نقله الشيخ علوان، وكأن المصنف خص الوزن لأعمال المؤمنين للإشارة إلى ذلك.

(و) نقول **(الجنة والنار مخلوقتان)** الان خلافاً للمعتزلة أنهما يخلقان يوم الجزاء لنا، وقصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة والآيات الظاهرة في إعدادهما مثل (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٣] ومثل (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [آل عمران: ١٣١] فإن عُورِضَ بمثل قوله تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً) [القصص: ٨٣] قلنا يحتمل الحال والاستمرار ولو سُلِّم فقصة آدم تبقى سالمة عن المعارضة. كذا في شرح العقائد و **(لا يفنيان)** هما ولا أهلهما **(ولا يبيدان)** سرمداً تكراراً للتأكيد أي لا يطرأ عليهما عدمٌ مستمر لقوله تعالى في حق الفريقين: (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) [النساء: ٥٧] فما قيل أنهما يهلكان ولو لحظة تحقيقاً لقوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) [القصص: ٨٨] فلا ينافي البقاء بهذا المعنى، على أنك قد عرفت أن لا دلالة في الآية على الفناء، وذهبت الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما وهو قولٌ باطلٌ مخالفٌ للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلاً عن حجة، كذا في شرح العقائد.

(و) نقول **(إن الله تعالى خلق الجنة والنار وخلق لهما أهلاً)** حيث قبض قبضتين فقال: "هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي". الحديث القدسي. وفي الحديث: "فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير" **(فمن شاء)** كان من قبضة اليمين و **(إلى الجنة أدخله فضلاً منه ومن شاء منهم)** كان من الأخرى و **(إلى النار أدخله عدلاً منه وكل)** منهم **(يعمل لما قد فرغ منه)** حيث رفعت الأقلام وجفت الصحف كما في الحديث **(وصائر)** بتقدير الله **(إلى ما خُلِق له)** ومستوفٍ ما قدِّر له .

(والخير والشر مقدران على العباد) وقد تقدم. **(والاستطاعة التي يجب)** أن يكون **(بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق بها)** وهي حقيقة القدرة **(تكون مع الفعل)** قال صاحب التبصرة: إنها عرض يخلقه الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية وهي علة للفعل والجمهور على أنها شرط لأداء الفعل لا علة وبالجملة هي صفة يخلقها الله تعالى عند قصد اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب والآلات فإن قصد فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل الخير، وإن قصد فعل الشر خلق الله قدرة فعل الشر وكان هو المضيع لقدرة فعل الخير فيستحق الذم والعقاب ولهذا ذم الله تعالى الكافرين بأنهم لا يستطيعون السمع وإذا كانت الاستطاعة عرضاً وجب أن تكون مقارنة للفعل بالزمان لا سابقة عليه وإلا لزم وقوع الفعل بلا استطاعة وقدرة عليه لما مر من امتناع بقاء الأعراض. كذا في شرح س القائلون بكون الاستطاعة قبل الفعل بأن التكاليف قبل الفعل ضرورة أن الكافر مكلف بالإيمان، وتارك الصلاة مكلف بها بعد دخول الوقت، فلو لم تكن الاستطاعة محققة حينئذ لزم تكليف العاجز وهو باطل أشار إلى الجواب بقوله: **(وأما الاستطاعة من الصحة والوسع والتمكن)** من الفعل **(وسلامة الآلات)** والأسباب **(فهي قبل الفعل)** والحاصل أن القدرة لها إطلاقان فتطلق تارة ويراد بها حقيقة القدرة وهي مع الفعل، وتطلق أخرى ويراد بها الوسع والسلامة وهي قبل الفعل **(وبها)** أي الاستطاعة بالمعنى الثاني **(يتعلق الخطاب)** والتكليف **(وهو كما قال الله تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)** [البقرة: ٢٨٦] وقوله: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) [آل عمران: ٩٧].

(وأفعال) جميع **(العباد)** إنما **(هي بخلق الله تعالى وكسبٍ من العباد)** خلافاً للجبرية القائلين بأنها من الله تعالى خلقاً وإيجاداً ولم يثبتوا للعباد قدرة بل جعلوها كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، وللقدرية القائلين بأنها من العبد خلقاً

وإيجاداً دون ربهم، وأثبتوا لأنفسهم غنىً عن الله عز وجل. وتوسطت أهل السنة بأنها بخلق الله وكسب العبد بدليل قوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) [البقرة: ٢٨٦] والفرق بين الخلق والكسب أن المقدور مخترع ومكتسب، فمن حيث كونه مخلوقاً يضاف إلى الله تعالى بجهة الاختراع، ومن حيث كونه كسباً يضاف إلى العبد، ولا استحالة في دخول مقدور واحد تحت قدرة قادرين بجهتين مختلفتين: إحداهما خلقاً وهي خارجة عن مقدور العبد والأخرى كسباً للعبد بأقدار الله تعالى ثم إن الباري تعالى تارة يخلق في العبد حركةً جبرية لا يقدر على الامتناع عنها كحركة المرتعش، فهذه محض مقدور الله تعالى خلقاً وإيجاداً، وتارة حركة اختيارية عند قصد العبد ويقدره على صرفها إلى أي فعل شاء، إلا أن الله يأمره بصرفها إلى الطاعة وينهاه عن صرفها إلى المعاصي، فكان تكليفاً بما للعبد قدرة على الإيثار به والامتناع عنه، ولهذا في الحركة الجبرية لم يرد الأمر بها والنهي عنها ولم يتعلق بها تكليف.

واعلم أنه لما كان هذا المقام مما تحيرت فيه أفهام الأعلام حتى أقر بعضهم بالعجز عن فهم المرام وتحقيقه يحتاج إلى مزيد كلام، وكان ممن جال في ذلك وحامى وناضل فيه كل علاّمةٍ إمام، حتى ظهر الحق وقام وجمع بين المنقول والمعقول للأنام صاحب المسايرة المحقق الكمال ابن الهمام فسنح لي أن أذكر عبارته بالكمال والتمام لما اشتملت عليه من الفوائد العظام، قال في المسايرة: فإن قيل لا شك إنه تعالى خلق للعبد قدرة على الأفعال، ولذا يدرك تفرقة ضرورية بين الحركة المقدرة والرعدة الضرورية، والقدرة ليست خاصيتها إلا التأثير فوجب تخصيص عمومات النصوص بما سوى أفعال العباد الاختيارية، فيكونون مستقلين بإيجاد أفعالهم بقدرتهم الحادثة بخلق الله تعالى إياها كما هو رأي المعتزلة والفلاسفة فلا فرق غير أن قدرة العبد حادثة بإيجاد الله تعالى باختياره عند المعتزلة وبطريق الإيجاب عند تمام الاستعداد عند الفلاسفة وإلا كان جبراً محضاً فيبطل الأمر والنهي فالجواب أن الحركة مثلاً كما أنها وصف للعبد ومخلوقة للرب لها نسبة إلى قدرة العبد، فسميت باعتبار تلك النسبة كسباً وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع، إذ قدرة الله تعالى متعلقة في الأزل بالعالم ولم يحصل الاختراع بها إذ ذاك، وعند الاختراع يتعلق به نوع آخر من التعلق فبطل أن القدرة مختصة بإيجاد المقدور بها، ولم يلزم الجبر المحض إذ كانت الحركة متعلَّقُ قدرةِ العبد داخلةً في اختياره، وهذا حاصل كلام الحجة، ثم اعترض ذلك بقوله: ولِقائل أن يقول قولكم إنها تتعلق بالمقدور لا على وجه التأثير فيها هو الكسب، مجرد ألفاظ لم تُحصِّلوا لها معنى ونحن إنما نفهم من الكسب التحصيل، وتحصيل الفعل المعدوم ليس إلا إدخاله في الوجود وهو إيجاده، وقولكم إن القدرة الحادثة تتعلق بلا تأثير كتعلق القدرة القديمة في الأزل قلنا: معنى ذلك التعلق نسبة المعلوم من مقدوراتها إليها بأنها ستؤثر في إيجاده عند وقته وذلك أن القدرة إنما تؤثر على وفق الإرادة وتعلق الإرادة بوقوع الشيء هو تخصيصه بوقته، والقدرة الحادثة يستحيل فيها ذلك لأنها مقارنة للفعل عندكم فلم يكن تعلقها إلا بالتأثير أو تبينوا له معنىً محصلاً ينظر فيه ولو سلم فالمقتضي لوجوب تخصيص تلك النصوص بأفعال العباد (هو) لزوم الجبر المحض المستلزم لبطلان الأمر والنهي ولزومه على تقدير أن لا تأثير لقدرة المكلف بالأمر والنهي ولا يدفعه تعلق بلا تأثير، وما قيل إيجاد الحركة غير الحركة، فالإيجاد فعل الله تعالى والموجود وهو الحركة فعل العبد وموصوف به، حتى يشتق منه اسم المتحرك وليس مشتقاً للموجد اسم من متعلق فعله، فلا يقال لموجِد البياض في غيره أبيض، بخلاف من قام به فأجنبي إذ لا يتعرض إلا لكونه متصفاً بالعرض بعد إيجاد غيره إياه فيه، وهو لا يوجب دخوله تحت اختياره فضلاً عن تعلق قدرته به. فإن قيل قام البرهان على وجوب كون كل موجود صادراً عن قدرته تعالى ابتداء بلا واسطة وقام على وجوب تعلق قدرة العبد بأفعاله الاختيارية للعلم

الضروري بالتفرقة بين حركته صاعداً وساقطاً فنقول بهما وإن لم نعلم حقيقة كيفية هذا التعلق فإنه غير لازم لنا قلنا: حاصل هذا اعترافكم بأن العلم الضروري بتعلق قدرة العبد بحركته صاعداً أمر ثابت، ثم ادعيتم أنه ألجأ إلى كونه على خلاف المعقول من معنى تعلق القدرة بمقدورها من كونه بلا تأثير وإيجاده لا ندري على أي وجه ملجئ وهو براهين وجوب استناد كل الحوادث إلى القدرة القديمة بالإيجاد وهو غير صحيح فإن تلك البراهين إنما تلجئ لو لم تكن عمومات تحتمل التخصيص، فأما إذا كانت إياها ووجد ما يوجب التخصيص لكن الأمر كذلك وذلك المخصص أمر عقلي هو أن إرادة العموم فيها يستلزم الجبرَ المحض المستلزم لضياع التكليف وبطلان الأمر والنهي. وأما ما ذكروه من العقليات مما موضعه غير هذا المختصر، فليس شيء منها لازماً على ما يعلمه الواقف عليها بأدنى تأمل ولو تم منها ما يلجئ إلى ما ذكر استلزم ما ذكرنا من بطلان التكليف، وقد قدمنا أن تعلق القدرة بلا تأثير لا يدفعه، لأن الموجب للجبر ليس سوى أن لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد فعله وهو باطل، وملزوم الباطل باطل، ولهذا صرح جماعة من محققي المتأخرين عن الأشاعرة بأن مآل كلامهم هذا هو الجبر وأن الإنسان مضطر في صورة مختار.

واعلم أنا ذكرنا آنفاً أن ما أوردوه من مستمسكاتهم العقلية التي ظنوا إحالتها استناد شيء من [الأفعال] الاختيارية إلى العباد لم تُسَلّم. لم يبق عندنا في حكم العقل مانع عقلي من ذلك فإنه لو عرَّف الله تعالى العبد العاقل أفعال الخير والشر، ثم خلق له قدرة أمكنه بها من الفعل والترك، ثم كلفه بإتيان الخير ووعده عليه، وترك الشر وأوعده عليه، بناء على ذلك الأقدار لم يوجب ذلك نقصاً في الألوهية إذ غاية ما فيه [أنه] أقدره على بعض مقدوراته كما أنه أعلمنا بعض معلوماته سبحانه تفضلاً وإن كان قد يُرى فرق بين العلم والخلق، لكن لا يقدح كما ذكرنا إذ كان سبحانه غير مُلجأ إلى ذلك ولا متهور عليه، بل فِعْله سبحانه باختياره في قليل لا نسبة له بمقدوراته كحكمة صحة التكليف واتجاه الأمر والنهي، مع أنه لا تنقطع نسبته إليه تعالى بالإيجاد، لأن إيجاد المكلف لها إنما هو بتمكين الله تعالى إياه منها وإقداره عليها، غير أن السمع ورد بما يقتضي نسبة الكل إليه تعالى بالإيجاد وقطعها عن العباد، فلنفي الجبر المحض وتصحيح التكليف وجب التخصيص، وهو لا يتوقف على نسبة جميع أفعال العباد إليهم بالإيجاد، بل يكفي لنفيه أن يقال: جميع ما يتوقف عليه أفعال الجوارح من الحركات وكذا التروك التي هي أفعال النفس من الميل والداعية التي تدعو والاختيار بخلق الله تعالى لا تأثير لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته عزمه عقيب خلق الله تعالى هذه الأمور في باطنه عزماً مصمماً بلا تردد وتوجهاً صادقاً للفعل طالباً إياه فإذا أوجد العبد ذلك العزم خلق الله تعالى له الفعل فيكون منسوباً إليه تعالى من حيث هو حرَّكه، وإلى العبد من حيث هو زنا ونحوه، وإنما يخلق الله سبحانه هذه في القلب ليظهر من المكلف ما سبق علمه تعالى بظهوره منه من مخالفة أو طاعة وليس للعلم خاصية التأثير ليكون مجبوراً لما عساه يتضح من بعد، ولا خلق هذه الأشياء يوجب اضطراره على الفعل لأنه أقدره فيما يختاره ويميل إليه عن داعية على العزم على فعله أو تركه، إذ من المستمر ترك الإنسان لما يحبه ويختاره، وفعل شيء وهو يكره لخوف أو حياء، فعن ذلك العزم الكائن بقدرة العبد المخلوقة لله تعالى صح تكليفه وثوابه وعقابه، وذمُّه ومدحه وانتفى بطلان التكليف والجبر المحض، وكفى في التخصيص تصحيح التكليف هذا الأمر الواحد أعني العزم المصمم وما سواه مما لا يحصى من الأفعال الجزئية والتروك كلها مخلوقة لله تعالى، متأثرة عن قدرته ابتداء بلا واسطة القدرة الحادثة المتأثرة عن قدرته تعالى والله سبحانه أعلم. ومع ذلك فقلَّ ما يكون حسن هذا العزم بلا توفيق من الله تعالى تفضلاً، فإن الشيطان مع الشهوة الغالبة وهوى النفس [ثلاثتها] موانع تشبه القواسر لقوة استيلائها فلا تُغلب إلا بمعونة التوفيق، وليس لأحد على الله تعالى أن يوفقه، بل إذا أعلمه طريق

الخير والشر، وخلق المكنة له فقد أعذر إليه، وعدم التوفيق وهو الخذلان وهو أن يدعه مع نفسه لا ينصره، ولا يعينه عليها لا يسلبه المكنة من ذلك العزم التي خلقها له. وهذه غير القدرة التي ذهب أكثر أهل السنة إلى أنها لا تتقدم على الفعل حتى قد يقال: إن التكليف بغير المقدور واقع لأنه يكون قبل الفعل بالضرورة ومقارَن المتأخر غير موجود مع المتقدم، فإن المراد بتلك القدرة هو القدرة التي يقام بها الفعل، وهي قدرة جزئية مندرجة تحت مطلق القدرة الكلية تخلق مع الفعل. وقولنا يقام بها الفعل تساهل. وإنما هي معه إذ كان الفعل إنما هو أثر قدرة الله سبحانه وتعالى قال القاضي أبو بكر: إن الله تعالى لا يخلق تلك القدرة إلا ويخلق الفعل تحتها فهي من الفعل بمنزلة المشروط من الشرط فالقدرة كالمشروط والفعل كالشرط، فكما لا يوجد المشروط بلا شرط، كذلك لا توجد القدرة بلا فعل، ويجوز أن يوجد الشرط بلا مشروط. وهذه القدرة شرط التكليف مقدمة عليه وهي عبارة عندهم عن سلامة الآلات وصحة الأسباب، بناءً على أن من كان كذلك فإن الله تعالى يخلق له القدرة عند الفعل، كذلك أجرى الله سبحانه وتعالى العادة، ومن مشايخنا من ذهب إلى أن القدرة تتقدم حقيقة على الفعل انتهى بحروفه.

أقول: وقد توسع العارف المنلا إبراهيم الكوراني بأكثر من هذا في رسالته (مسلك الاعتدال إلى فهم آية خلق الأعمال) حيث قال: إذا تبين أنه لا موجود بالذات إلا الله، فلا وجود لغيره إلا به، فما سواه مفتقر إليه في وجوده وكمالاته التابعة لوجوده، فكما أنه لا وجود للممكن إلا بالله، فكذلك لا كمالَ وجودياً إلا بالله، ومن كمالات العبد القدرة، فلا قدرة له إلا بالله كما قال تعالى: (لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) [الكهف: ٣٩] ومن المعلوم أن كل وصف حاصل لشيء بغيره فهو في الحقيقة لذلك الغير لا للشيء، فلا قدرة حقيقية إلا لله. إلى أن قال: إذا تبين لك توحيد الصفات علمت أن تأثير قدرة العبد بإذن الله لا ينافي قَصْر الخالقية لكل شيء على الله، لأن العبد لا فعل له إلا بقوةٍ بالضرورة ولا قوة إلا بالله عقلاً ونقلاً وكشفاً، فلا فعل له إلا بالله وما هو بالله فهو لله كما تبين فلا فعل حقيقةً إلا بالله، فمكسوب العبد بتأثير قدرته بإذن الله لا بالاستقلال [هو] عين المخلوق لله بالعبد، فالمخلوق لله بالعباد، والمكسوب للعباد بالله متحدان بالذات، مختلفان بالاعتبارات لكونه صادراً من قدرة واحدة بالذات، متعددةٍ بالاعتبارات التي هي التعيينات الحاصلة في مظاهر العباد، فالله خالق كل شيء على الإطلاق مع إثبات الكسب بالتأثير إلى تخصيص العمومات الدالة على أن الله خالق كل شيء بما عدى الأفعال الاختيارية للمكلفين، كما اختاره المحقق ابن الهمام في المسايرة حيث قال وَسَاقَ ملخص عبارته إلى أن قال: وقد علمت أنه لا موجب تحقيقاً لتخصيص العمومات. ثم قال: هذا ولا حاجة في الجمع بين إثبات الكسب وتوحيد الأفعال إلى تفسير الكسب بتعلق قدرة العبد بالفعل المراد مجرداً عن التأثير أصلاً كما هو المشهور عن الأشاعرة لإمكان الجمع بين القول بتأثير قدرة العبد بإذن الله لا بالاستقلال مع القول بتوحيد الأفعال كما تبين. وسيزداد وضوحاً بتوفيق المنعم المتعال، وشيده بالنقول والأقوال وعضده بما نقله عن الأشعري في الإبانة وأطال.

(ولم يكلفهم) الله تعالى **(إلا ما يطيقونه)** ولم يكلفهم بما ليس في وسعهم، سواء كان ممتنعاً في نفسه كجمع الضدين أو ممكناً، كخلق الجسم، وأما ما يمتنع بناء على أن الله تعالى علم خلافه أو أراد خلافه، كإيمان الكافر وطاعة العاصي، فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدور المكلف بالنظر إلى نفسه. ثم عدم التكليف بما ليس في الوسع متفق عليه لقوله تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦] والأمر في قوله تعالى: (أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ) [البقرة ٣١] للتعجيز لا للتكليف، وقوله تعالى حكاية: (رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) [البقرة: ٢٨٦] ليس المراد بالتحميل هو التكليف، بل إيصال ما لا يطاق من العوارض إليهم، وإنما النزاع في الجواز فمنعه المتعزلة بناء على القبح العقلي، وجوزه الأشعري لأنه لا يقبح من الله تعالى شيء، وقد يستدل بقوله تعالى: (لا

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) على نفي الجواز. وتقريره أنه لو كان جائزاً لما لزم من فرض وقوعه محالُ ضرورةِ أن استحالة اللازم يوجب استحالة الملزوم، لكنه لو وقع لزم كذب كلام الله تعالى وهو محال، وهذه نكتة في بيان استحالة وقوع كل ما يتعلق علم الله تعالى وإرادته واختياره بعدم وقوعه وحَلِّها: أن لا نسلم أن كل ما يكون ممكناً في نفسه لا يلزم من فرض وقوعه محال، وإنما يجب ذلك لو لم يعرض له الامتناع بالغير، وإلا لجاز أن يكون لزوم المحال بناء على الامتناع بالغير، ألا يرى أن الله تعالى لما أوجد العالم بقدرته واختياره، فعدمه ممكن في نفسه مع أنه يلزم من فرض وقوعه تخلف المعلول عن علته التامة وأنه محال. والحاصل: أن الممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال بالنظر إلى ذاته، وأما بالنظر إلى أمر زائد على نفسه فلا نسلم أنه لا يستلزم المحال. كذا في شرح العقائد.

تتمة: قال في جمع الجوامع: يجوز التكليف بالمحال مطلقاً، ومنع أكثر المعتزلة والشيخ أبو حامد الغزالي وابن دقيق العيد ما ليس ممتنَعاً لتعلق العلم بعدم وقوعه، ومنع معتزلة بغداد والآمدي المحال لذاته، وإمام الحرمين [منع] كونه مطلوباً لورودَ صيغة الطلب. والحق وقوع [التكليف بالمحال] الممتنع بالغير لا بالذات. ا هـ وفي المسايرة: ولا أعلم أحداً منهم يعني الحنفية جوز تكليف ما لا يطاق . قال الشارح: فهم في هذا مخالفون للأشعرية في تجويزهم إياه عقلاً، والمراد أنهم يمنعون التكليف بالممتنع لذاته، أما الممتنع لتعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه كإيمان من علم الله تعالى أنه لا يؤمن، فإن التكليف به جائز عقلاً واقع وفاقاً. ا هـ وفيها أيضاً: واعلم أن الحنفية لما استحالوا عليه تكليف ما لا يطاق منهم لتعذيب المحسن الذي استغرق عمره في الطاعة مخالفاً لهوى نفسه في رضا مولاه أمنع بمعنى أنه يتعالى عن ذلك فهو من باب التنزيهات إذ التسوية بين المسيئ والمحسن غير لائق بالحكمة في فِطَر سائر العقول، وقد نص الله تعالى على قبحه حيث قال: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [الجاثية: ٢١] فجعله سيئاً، وهذا في التجويز عليه وعدمه، أما الوقوع فمقطوع بعدمه غير أنه عند الأشاعرة للوعد بخلافه وعند الحنفية وغيرهم لذلك ولقبح خلافه ا.هـ. **(و)** هم **(لا يطيقون إلا ما كلفهم)** الله تعالى به **(و)** هذا المعنى **(هو حاصل تفسير قول)** القائل **(لا حول ولا قوة إلا بالله)** كأنك **(تقول لا حيلة ولا حركة لأحد)** عن التحول **(عن معصية الله إلا بمعونة الله)** تعالى **(ولا قوة لأحد على إقامة طاعةٍ والثبات عليها إلا بتوفيق الله)** تعالى **(و)** نقول **(كل شيء يجري)** في الكون فهو **(بمشيئة الله عز وجل وعلمه وقضائه وقدره)** وهو الذي **(غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه)** وقدره **(الحيل كلها يفعل ما يشاء)** ويريد **(وهو غير ظالم)** بفعله **(أبدا)** لأن الظلم يقال على التصرف في ملك الغير كرهاً، وهذا محال في حقه تعالى لأن الكل ملكه، فله التصرف كيف شاء وعلى وضع الشيء في غير موضعه، والله تعالى أحكم الحاكمين وأعلم العالمين وأقدر القادرين، فكل ما وضعه فهو في موضعه وإن خفي علينا وجهه. قال الإمام الغزالي: ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادِف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه ظلما. ا هـ فجريان الظلم من الله تعالى محال عقلاً **(تقدس)** سبحانه وتعالى **(عن كل سوء)** أي ما يسوءه **(وتنزه عن كل عيب وشين)** بمعنى العيب **(لا يُسأل عما يفعل)** لتصرفه في خالص ملكه **(وهم يسألون)** كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه وفي الحديث: "لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فِيمَ أفناه، وعن شبابه فِيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفِيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه؟".

(و) نقول **(في دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم)** عنهم **(منفعة للأموات)** خلافاً للمعتزلة تمسكاً بأن القضاء لا يتبدل، وكل نفس مرهونة بما كسبت، والمرء مَجزيٌ بعمله لا بعمل غيره، ولنا ما روي في الصحاح من الدعاء

للأموات خصوصاً في صلاة الجنازة، وقد توارث له السلف فلو لم يكن للأموات نفع فيه لما كان له معنى، وقال عليه الصلاة والسلام: "ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه" وعن سعد بن عبادة أنه قال: يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي صدقة أفضل؟ قال: "الماء" فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعد. والأحاديث والآثار في هذا الباب أكثر من أن تحصر. كذا في شرح العقائد **(والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات)** لقوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [المؤمن (غافر) آية ٦٠] ولقوله عليه الصلاة والسلام: "يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل يقول: "دعوت فلم يستجب لي" ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صُفراً " واعلم أن العمدة في ذلك صدق النية وخلوص الطويّة وحضور القلب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب الدعاء من قلب غافلٍ لاهٍ " واختلف المشايخ في أنه هل يجوز أن يقال: يستجاب دعاء الكافرين، فمنعه الجمهور لقوله تعالى: (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [الرعد: ١٤] ولأنه لا يدعو الله لأنه لا يعرفه، لأنه وإن أقر به فلمّا وصفه بما لا يليق به فقد نقض إقراره، وما روي في الحديث: "أن دعوة المظلوم وإن كان كافراً تستجاب". محمول على كفران النعمة، وجوزه بعضهم لقوله تعالى: حكاية عن إبليس (رَبِّ أَنْظِرْنِي) فقال الله (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ) [الحجر: ٣٧] هذه إجابة وإليه ذهب أبو القاسم الحكيم وأبو نصر الدبوسي قال الصدر الشهيد: وبه يفتى. كذا في شرح العقائد.

(ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا يُستغنى عن الله طرفة عين) لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥] **(ومن)** زعم أنه **(استغنى عن الله)** تعالى **(طرفة عين فقد كفر وكان من أهل الخسران)** لمصادمته نص القرآن ولأن الاستغناء صفة الربوبية والافتقارَ صفة العبودية.

(و) نقول **(إن الله تعالى يغضب ويرضى)** ويحب ويرحم وكذلك كل صفة وصف بها نفسه، أو صح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها وصفه ولكن على المعنى الذي أراده و **(لا)** يصح أن يتخيل أنها صفة **(كأحد)** الصفات **(من)** صفات **(الورى)** لأنه تعالى منفرد بصفاته كذاته، فكما ذاته لا تشبه الذوات، فصفاته لا تشبه الصفات (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١] ولا يؤولان بأن المراد ببغضه ورضاه إرادة الانتقام، ومشيئة الإنعام أو المراد بهما غايتهما من النقمة والنعمة قال فخر الإسلام: إثبات اليد والوجه حق عندنا لكنه معلوم بأصله، متشابه بوصفه ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على وجه المعقول فصاروا معطلة. كذا ذكره شمس الأئمة، ثم قال: وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص أي الآيات القطعية والدلالات اليقينية وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف به الراسخين في العلم فقال:(يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران: ٧] ا هـ.

(ونحب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم) جمع صاحب قال الحافظ ابن حجر: وهو من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام، وهو أولى من تعريف غيره كابن الصلاح: بأنه كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه غير جامع ولا مانع، إذ يخرج منه من كان من الصحابة أعمى كابن أم مكتوم مع أنه صحابي بلا خلاف، ويدخل فيه من ليس من الصحابة بالاتفاق كمن رآه كافراً ثم أسلم بعد موته كرسول قيصر، ومن رآه بعد موته قبل الدفن وقد وقع لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ولا صحبة له. أما من ارتد بعده ثم أسلم ومات مسلماً فقال العراقي: في دخوله فيهم نظر فقد نص الشافعي وأبو حنيفة على أن الردة محبطة للعمل

قال: والظاهر أنها محبطة للصحبة السابقة كقرة بن ميسرة والأشعث بن قيس أما من رجع في حياته صلى الله عليه وآله وسلم كعبد الله بن أبي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة، وهل يشترط لقيه في حال النبوة أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبلها ومات على الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقيل نعم لأن ابن منده عده في الصحابة، وكذا لو رآه ثم أدرك البعثة وأسلم ولم يره قال العراقي: ولم أر من تعرض لذلك قال: ويدل على اعتبار الرؤيا بعد النبوة ذكرهم في الصحابة ولده إبراهيم دون من مات قبلها كالقاسم قال: وهل يشترط في الرائي التمييز حتى لا يدخل من رآه وهو لا يعقل، والأطفال الذين حنكهم ولم يذكروه بعد التمييز أو لا يشترط؟ لم يذكروه أيضاً إلا أن العلائي قال في المراسيل: عبد الله بن الحارث بن نوفل حنّكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له ولا صحبة بل ولا رؤية له أيضاً. كذا في شرح أسماء أهل بدر للشهاب المنيني وقد ورد في الحث على حبهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية شيء كثير كقوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً) إلى (وَأَجْراً عَظِيماً) [الفتح: ٢٩] وقوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ) [المائدة: ٤] الآية وقوله: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ) إلى قوله: (هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر: ٨] وإلى غير ذلك من الآيات وروى الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحُبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه" **(و)** لكن **(لا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم)** كما وقع لغلاة الروافض قبّحهم الله وقد قال أبو القاسم الحكيم: الرافضة أقبح فعلاً من اليهود والنصارى إذ لو قيل ليهودي من أفضل الناس بعد موسى قال: نقباؤه، ولو قيل لنصراني من أفضل الناس بعد عيسى؟ قال: حواريه، ولو قيل لرافضي من أشر الناس؟ قال: أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبّحهم الله تعالى ويكفي في الرد عليهم قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [الأحزاب: ٥٧] كذا ذكره المنلا إلياس الزاهد **(ونبغض من يبغضهم)** أو واحداً منهم ونسكت عن ذكر ما وقع بينهم فإنه الذي أدى إليه اجتهادهم قال ابن دقيق العيد في عقيدته: وما نقل فيما بينهم واختلفوا فيه فمنه باطل وكذب فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحاً أوّلناه تأويلاً حسناً، لأن الثناء عليهم من الله تعالى سابق، وما نقل من الكلام اللاحق محتمل للتأويل والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقّق والمعلوم اهـ. **(وبغير الحق لا نذكرهم)** ففي صحيح الإمام مسلم: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه". وعن ابن عباس: "لا تسبوا أصحاب محمد فلَمُقام أحدهم ساعة يعني مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير من عمل أحدكم أربعين سنة، وفي رواية: عمره **(ونرى حبهم ديناً وإيماناً وإحساناً و)** نرى **(بغضهم كفراً وشقاقاً ونفاقاً وطغياناً)** حيث كان حبهم من حبه صلى الله عليه وآله وسلم، وبغضهم من بغضه مع شهادته صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالخيرية.

(ونثبت الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه) الذي صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النبوة بلا تلعثم، وفي المعراج بلا تردد فلقّبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك واسمه: عبد الله بن أبي قحافة وإنما اختاروه **(تفضيلاً)** له **(وتقديماً على جميع الأمة)** وقد ثبتت خلافته بالإجماع بعد توقف أولاً لمّا اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فاستقر الرأي بعد المشاورة والمراجعة على خلافته وبايعوه ما عدى علياً ثم بايعه رضي الله عنه على رؤوس الأشهاد فصارت خلافته مجمعاً عليها من غير مدافع **(ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه)** وقد ثبتت خلافته بنص الإمام السابق والإجماع فإن الصديق رضي الله عنه بعدما انقضت

من خلافته سنتان وأربع أو ستة أشهر مرض فلما أيس من حياته دعا عثمان وأملى عليه كتاب العهد لعمر فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده في الدنيا خارجاً عنها، وأول عهده في الآخرة داخلاً فيها، حين يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر أني أستخلف عمر بن الخطاب فإن عدل فذاك ظني به ورأيي فيه، وإن جار فلكل امرئ ما اكتسب، والخيرَ أردتُ ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فلما كتب ختم الصحيفة وأخرجها إلى الناس وأمرهم أن يبايعوا لمن في الصحيفة فبايعوا حتى مرت بعلي كرم الله وجهه فقال: بايعنا لمن فيها وإن كان عمر فوقع الاتفاق على خلافته فقام عشر سنين **(ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه)** فإن أمير المؤمنين لما استشهد على يد اللعين أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة واستشعر الموت قال: ما أحداً أحق بهذا الأمر ممن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض فسمى عثمان وعلياً والزبير وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله ابنه بشرط أن لا يكون خليفة رضي الله عنه وجعلها شورى بينهم فاجتمعوا بعد دفنه رضي الله عنه وفوّض الأمر خمسُهم إلى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بحكمه فاختار عثمان وبايعه بمحضر من الصحابة فبايعوه وانقادوا له فكان ذلك إجماعاً **(ثم لعلي بن أبي طالب)** رضي الله عنه فإنه لما استشهد عثمان رضي الله عنه اجتمع كبار المهاجرين والأنصار بعد ثلاثة أو خمسة أيام من موته على خلافة علي كرم الله وجهه، والتمسوا منه قبول الخلافة فقبل بعد مدافعة وامتناع كثير فبايعوه وصارت خلافته مُجمعاً عليها من أهل الحل والعقد. فقام بأمر الخلافة ست سنين واستشهد على رأس الثلاثين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتم نصاب الخلافة على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً عضوضاً" وقيل: إن الثلاثين إنما تمت بخلافة أمير المؤمنين حسن بن علي كرم الله وجههما لستة أشهر من وفاة أبيه. كذا في شرح الشيبانية للشيخ علوان **(رضوان الله)** تعالى **(عليهم أجمعين وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون)** الذين نوّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأنهم وحث على اتباعهم واقتفاء آثارهم حيث قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ".

(و) نقول **(أن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)** من أصحابه **(نشهد لهم بالجنة كما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله الحق)** فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى **(وهم)** أي الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهد لهم بالجنة **(أبو بكر)** الصديق **(وعمر)** الفاروق **(وعثمان)** بن عفان **(وعلي)** بن أبي طالب **(وطلحة)** بن عبيد الله **(والزبير)** بن العوام **(وسعد)** بن أبي وقاص **(وسعيد)** بن زيد **(وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو)** أي أبو عبيدة **(أمين هذه الأمة)** كما شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك. روى الإمام أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن لكل نبي أميناً وأميني أبو عبيدة عامر بن الجراح" وفي الجامع الصغير رامزاً للبخاري عن أنس: "إن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح" **(رضوان الله)** تعالى **(عليهم أجمعين و)** نقول **(من أحسنَ القول في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم)** الأكرمين **(وأزواجه)** أمهات المؤمنين **(وذرياته)** المطهرين **(فقد برئ من النفاق)** والضلال لما ذكر الله لهم من المزايا الحميدة والخصال وقد قال تعالى: (فَمَاذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ) [يونس: ٣٢] إذ هما ضدان وبتَرك أحدهما يثبت الآخر والحق ما جاء به الكتاب والسنة.

(وعلماء السلف من الصالحين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر و) الأئمة المجتهدين **(أهل الفقه والنظر)** المقتفين سواء السبيل **(لا يُذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)** ومن كان على غير سبيل المؤمنين فهو من أهل الجحيم المخلدين.

(ولا نفضل أحداً من الأولياء) رضي الله عنهم **(على أحد من الأنبياء)** صلوات الله تعالى عليهم **(ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء)** لأن الأنبياء معصومون مأمونون عن خوف الخاتمة، مكرمون بالوحي ومشاهدة الملك، ومأمورون بتبليغ الأحكام والإرشاد للأنام بعد الاتصاف بكمالات الأولياء. فما نقل عن بعض الكرامية: جواز كون الولي أفضل من النبي كفر وضلال. نعم قد يقع تردد في أن مرتبة النبوة أفضل أم مرتبة الولاية بعد القطع بأن النبي متصف بالمرتبتين وأنه أفضل من الذي ليس بنبي. كذا في شرح العقائد **(ونؤمن بما جاء من كراماتهم)** جمع كرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، فامتازت بعدم الاقتران بالتحدي عن المعجزة. وبكونها على يد ظاهر الصلاح عما يسمى معونة وهي الخارق الظاهر على أيدي عوام المؤمنين، تخلصاً لهم من المحن والمكاره، وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراج، وبمتابعة نبي قبله عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين كبصق مسيلمة في بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحاً أجاجاً. ذكره اللقاني. كذا في المطالب. والدليل على حقيقة الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره خصوصاً الأمر المشترك، وإن كانت التفاصيل آحاداً، وأيضاً الكتاب ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليه الصلاة والسلام وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز. كذا في شرح العقائد **(و)** قد **(صح عن الثقات من روايتهم)** ما يضيق عن الحصر من كراماتهم جعلنا الله من الصادقين في حبهم وأعاد علينا من بركاتهم.

(ونؤمن بأشراط الساعة) أي علاماتها **(منها: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وبطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها)** لأنها أمور ممكنة أخبر عنها الصادق وقال حذيفة بن أسيد الغفاري: اطلع علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتذاكر فقال: "ما تذكرون" قالوا: نذكر الساعة، قال: "إنها لن تقوم حتى ترَوْا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"، والأحاديث الصحاح في هذه الأشراط كثيرة جداً، وقد روي أحاديث وآثار في تفاصيلها وكيفياتها فليطلب من كتب التفسير والسير والتواريخ. كذا في شرح العقائد.

(ولا نصدق كاهناً) من يخبر عن المغيبات **(ولا عرَّافاً)** بالتثقيل بمعنى المنجم والكاهن وقيل العراف يخبر عن الماضي، والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل. ذكره في المصباح وفي شرح العقائد: وتصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من أتى [عرافاً أو] كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" صلى الله عليه وآله وسلم اهـ **(ولا من يدعي شيئا بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة)** أخرج الطبراني في الكبير وابن حبان والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ستة لعنْتُهم ولعنهم الله، وكل نبي مجاب الدعوة: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط على أمتي بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله، والمستحل حرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي". كذا في الطريقة المحمدية **(ونرى الجماعة)** أي ما أجمع عليه المسلمون **(حقاً وصواباً و)** نرى **(الفرقة)** عما هم عليه

(زيغاً) عن سواء الطريق **(وعذاباً)** أي سبباً لاستحقاق العذاب. روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".

(ودين الله) تعالى **(في السماء والأرض)** للملائكة والأنبياء وسائر المؤمنين **(واحد وهو دين الإسلام كما قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ))** [آل عمران: ١٩] فحصر سبحانه وتعالى الدين في الإسلام **(وقال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)** [آل عمران: ٨٥] **(وقال تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً))** [المائدة: ٣] وهاتان مصرحتان بأنه هو الدين المرضي المقبول، وغيره مردود على صاحبه غير مقبول **(وهو)** أي دين الإسلام الحنيفي متوسط **(بين الغلو)** تجاوز الحدود **(والتقصير)** عنها أخرج الحكيم الترمذي في كتابه شأن الصلاة قال: حدثنا عتبة بن عبد الله الأزدي عن [ابن الـ] مبارك قال أخبرني عوف عن الحسن قال: إن دين الله تعالى وُضع دون الغلو وفوق التقصير. وروي عن بكر بن عبد الله المزني أنه قال: وضع دون الغلو وفوق التقصير. فجاء العدو فدعا إلى التقصير والغلو فهما سبيلان إلى نار جهنم اهـ .

(و) بين **(التشبيه والتعطيل و)** بين **(الجبر والقدر، و)** بين **(الأمن واليأس). (فهذا)** أي المتلو عليك من أول العقيدة إلى هنا **(ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً)** ندين الله تعالى به.

(ونحن نبرأ إلى الله تعالى ممن خالف) هذا الاعتقاد **(الذي ذكرناه وبيناه ونسأل الله تعالى)** فإنه أقرب مسؤول وأرجى مأمول **(أن يثبتنا عليه ويختم لنا به)** ويميتنا عليه ويجعله حجة لنا بين يديه **(ويعصمنا من الأهواء)** جمع هوى بالقصر هوى النفس **(المختلطة)** بالباطل **(والآراء)** جمع رأي وهو معروف يطلق على العِلم وعلى الاعتقاد وعلى القول **(المتفرقة)** أي المتشتة بالبواطل **(والمذاهب الردية)** أي الغير المرضية **(كالمشبهة)** وهم قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدَثات قاله السيد **(والجهمية)** وهم أصحاب جهم بن صفوان قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى قاله السيد **(والجبرية)** كالجهمية قاله السيد **(والقدرية)** وهم الذين يزعمون: أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى قاله السيد **(وغيرهم ممن خالف السنة والجماعة واتبع البدعة والضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب)** والحمد الله رب العالمين.

أقول: وأنا أقول بما قال هؤلاء الأئمة وأعتقد ما يعتقدونه وأؤمن بما يؤمنون به، وأشهد بما يشهدون به، وأشهد الله تعالى على ذلك وكفى بالله شهيدا. على ذلك نحيى وعلى ذلك نموت، وعلى ذلك نبعث إن شاء الله من الآمنيين. وأسألك يا إلهي إذا نزلت قبري، وخلوت بوزري، وأسلمني أهلي في غربتي أن تؤنس وحشتي، وتوسع حفرتي، وتكتب على ناصيتي مصيبتي في لوح صحيفتي بقلم عفوك: اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. وإذا جمعت رفاتي، وحشرتني يوم ميقاتي، فنشرت صحيفة سيئاتي وحسناتي، انظر إلى عملي فما كان حسناً فاصرفه في أمر أوليائك، وما كان من قبيح، فمل به إلى ساحل عتقائك، ثم إذا أوقف عبدك بين يديك، ولم يبق إلا الافتقار إليك، واعتماده عليك، فَقِسْ بين غناك وفقره، وبين عزك وذله، ثم افعل به ما أنت أهله إنك أهل التقوى وأهل المغفرة وهذه وسيلتي إليك، تطفلاً عليك، وصلِّ وسلم على سيدنا محمدٍ فإنه أقرب من يتوسل به إليك، والمأمول منك القبول. وقد وافق تمام تبييضها في وقت الضحوة النهارية، مع تمام بياض دمشقنا المحمية، التي تكفل لها ولأهلها رب البرية من الدول الجائرة البغية المصرية نهار الأربعاء لستٍّ ليالٍ خلت من أول الأشهر المحرمية، سنة ست وخمسين ومائتين وألف هجرية بخط جامعها أفقر البرية، إلى عفو ربه ذي الذات العلية، عبد الغني الغنيمي الميداني، أناله مولاه نيل الأماني، ووفقه للخيرات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وقد تمت كتابته عن نسخة

نسخت عن نسخة مؤلفها حفظه الله الكريم، ونفع به وبهذا الشرح النفع العميم نهار الثلاثاء المبارك ١٣ خلت من شهر رمضان سنة ١٢٩٥ هجري على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى الله، الراجي من الله الخلق الحسن والبشاش. عبد اللطيف بن الشيخ محمد الشاش عفا الله تعالى عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين. آمين آمين م.

تقريظات مشايخ عصر المؤلف

وهذه صورة التقريظات من العلماء على هذا الشرح الميمون:

تقريظ شيخ عصره في الحديث ومدرس قبة النسر
الشيخ عبد الرحمن الكزبري المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ بمكة حاجاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدورنا للإسلام والإيمان، وحفظنا من ترهات نزعات وساوس أهل البدع والطغيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بالعقائد الحقة المرضية للرحمن، المبين لها بأبدع توضيح وأكمل بيان، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى آثارهم الحسان، في كل مكان وزمان، ما شرحت عقيدة أهل السنة وحررها قلم أو فاه بها لسان إنسان.

أما بعد: فقد أحاط بصري بهذا الشرح، وسبرت أرقام هذا المدد الإلهي والفتح، الذي ألفه الفاضل النبيه، الذي قرت به عيون الفضل وذويه، فارس ميدان العلم، وسابق جواد مصلي الذكاء والفهم، الشيخ عبد الغني الملقب بالغنيمي الميداني، كساه الله حلل القبول والتهاني، على عقيدة الشيخ الإمام حبر الإسلام، أحد أساطين علماء السنة الأعلام، أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي قدس سره السماوي، فرأيته شرحاً في بابه بديعاً، وحصناً للعقائد الحقة منيعاً، لا نقد فيه فيما أظن لأحد، بل كل ما حواه من مذاهب أئمة الدين هو المعتمد، رصع فيه مؤلفه جواهر الدرر، وأودعه حقائق غرر الغرر، مع نسبة كل يتيمة لأصلها، وتأدية كل أمانة إلى أهلها، وضم كل فريدة لمثلها، معولاً فيه على النقل عن أئمة هذا الشأن، المتلقى قولهم بالقبول والإذعان، مما كل ذلك دال على غزارة علمه، ونباهة قدر ذكائه وفهمه، يقول رائيه: كم ترك الأول للآخر، وفضله سبحانه وتعالى ليس له نهاية ولا آخر، ولقد من الله على هذا الشارح فيما علمنا بكمال أدب وحسن خلق وتورع وتقوى بها إن شاء الله تعالى إلى المنازل العلية يرقى، وإنا لنرجو له فوق ذلك مظهراً مع طول عمر وحسن عمل ونفع للورى. هذا وقد اتفق خلال مطالعتي لهذه الأرقام أني رأيت السيد الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في المنام، وأظن أن هذا الفاضل حاضر فذكرت لسيدي هذا الشرح وأسلوبه وما حواه وأن اعتماده في جله على النقل الصريح عن أئمة الفن وأهله، فرأيته سُر بذلك واستنار وجهه وكأنه استشرف لمطالعته ورؤيته. هذا ما وعيته من المنام ورجوت أن تكون هذه الرؤيا سبباً لمزيد الإنعام وشهرة هذا الشرح وانتفاع الناس به من الخاص والعام بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

قاله بفمه ورقمه بقلمه محب العلماء العاملين، ومحسوب السادة الفقراء الكاملين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الشافعي الأشعري الشهير بالكزبري عفى عنه وختم له بالحسنى آمين. في نهار الثلاثاء ثاني شهر محرم الحرام افتتاح سنة سبع وخمسين ومائتين وألف.

صورة ختمه

راجي عفو العلي

عبد الرحمن الكزبري

كلمة العلامة الفقيه مدرس التكية السيليمانية الشيخ حامد العطار المتوفى سنة ١٢٦٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شهدت بوجوب وجوده جميع الكائنات، القائم بنفسه ولولا قيوميته لفني من في الأرض والسماوات، فسبحان من تفرد بالوحدانية والقدم، ودبر نظام هذا العالم وأوجده بعد العدم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم والحكم وعلى آله وصحبه الذين يستضاء بنورهم إذا عسعس ليل الجهالة وأظلم.

أما بعد: فإني قد اطلعت على هذا الشرح الذي ألفه الفاضل الأديب، والبارع الذكي اللبيب الشيخ عبد الغني الغنيمي الشهير بالميداني، بلغه الله ما يرجوه من الأماني، على عقيدة العالم العامل، والعمدة الهمام الكامل، أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي رحمه الله رحمة واسعة، فرأيته شرحاً لطيفاً محتوياً على درر الفوائد، جامعاً لزبدة ما اتفق عليه أهل العقائد فاتحاً لمغلقها، وموضحاً لمشكلها، فنسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا الشرح كل من اطلع عليه من الخاص والعام، وأن يوفقنا ومؤلفه والمسلمين لما يحبه ويرضاه بجاه سيدنا محمد عليه أشرف الصلاة والسلام. تحريراً غرة شهر ربيع الأنور سنة تسع وخمسين وألف ومائتين. قاله بفمه وأمر برقمه الحقير حامد بن أحمد العطار عفى عنه.

صورة ختمه

يا إلهي بمحمد

كن لحامد بن أحمد

كلمة العلامة شافعي زمانه الشيخ عبد الرحمن الطيبي المتوفى سنة ١٢٦٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أفاض أنوار العلوم الشرعية على قلب من اصطفاه، وفتح عليه بتحرير ما فيه رضاه، وأجرى قلمه بما هو سبب للنجاه، ونفع به من عمل به في أخراه، وكشف له عن سبيل الحق في صفاته المجتباه، ونهج به منهج المدققين المثبتين لصفات الله. وصلاة وسلاماً على أشرف رسله وأنبياه، الذي أزال عنا ظلام الشك ودُجاه، وتركنا على محجة بيضاء لا يزيغ عنها إلا من أضله الشيطان وأغواه، فجزاه الله تعالى أفضل ما جزى نبياً عن أمته وحشرنا تحت لواه، وسقانا من حوضه الشريف شربة هنية تزيل عن كل منا ظماه، وعلى آله وأصحابه سفن النجاه، العاملين بأوامره المنتهين عما نهاه، وعلى من نهج منهجهم إلى آخر الدهر ومنتهاه.

أما بعد: فإن الله تعالى لما أوجب علينا معرفة بعض صفاته تفصيلاً قيض لتحريرها جحاجحة سراه، فحرروها بأدلتها الواضحة المنتقاه، وكان ممن انتظم في سلك هذه اللآلي العظام، سنوسي هذه العوام، المولى النحرير الهمام، نادرة هذه الأيام، الحاج الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني، الذي ليس له في زماننا من ثاني، بلغه الله تعالى غاية الأماني، ونفع به القاصي والداني، وأجرى قلمه بما فيه ألطف المعاني، فشرح العقيدة النافعة الطحاوية وأشاد منها المباني، شرحاً لطيفاً أظهر فيه ما خفي من المعاني، وهو مع صغر سنه، فاق أهل زمانه، وأضحى كأنه سنوسي آوانه، فلا زال قلمه جارياً بما ينفع العباد، ويهديهم سبيل الرشاد، ويخلصهم من سوء الاعتقاد ويحفظهم من يوم المعاد، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الآل والأصحاب والأولاد.

كتبه فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه عبد الرحمن الطيبي غفرت ذنوبه وسترت عيوبه.

صورة ختمه

راجي عفو المنان

الطيبي عبد الرحمن

كلمة العلامة الولي، مربي المريدين الشيخ محمد الخاني النقشبندي الخالدي المتوفى سنة ١٢٨٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الباقي على الدوام، الفرد الصمد الذي لا يعتريه نقص ولا نقض في الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله الذي أرسله الله رحمة للأنام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام، الذين أيد الله بهم أهل الإيمان والإسلام.

أما بعد: فإني قد طالعت هذا الشرح العظيم، الحاوي لفرائد كالدر النظيم، الذي ألفه العالم العامل، والفاضل الماجد الكامل، عمدة أقرانه، ونخبة عصره وزمانه، الذكي اللوذعي الشيخ عبد الغني الغنيمي الشهير بالميداني، بلغه الله ما يرجوه من الأماني، وجعل أيامه ولياليه مشمولة بالسرور والتهاني، على عقيدة الشيخ الإمام، والحبر البحر الهمام، قدوة العاملين، وزبدة الأئمة المحققين، سيدنا ومولانا أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، أعمه الله بفضله ورُحماه، وجعل الجنة منقلبه ومثواه، فوجدته شرحاً لطيفاً جامعاً لعقائد الدين، كافياً لمن تمسك به من المكلفين، نفع الله به مؤلفه وقارئه وكاتبه والمسلمين آمين والحمد لله رب العالمين.

تحريراً في غرة شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٦٠ هـ. قاله بفمه وأمر برقمه الذليل الفاني محمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي.

صورة ختمه

محمد الخاني الخالدي النقشبندي

كلمة العلامة الفقيه المحدث الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار المتوفى سنة ١٢٧٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح قلوب خلص عباده المؤمنين، وأزال عنهم غيم الشكوك وأشهدهم الحق المبين، ووفقهم لبيان ما يجب اعتقاده بإقامة الأدلة والبراهين، وكشف لهم عن ظلمة الجهل بما حباهم من العلم واليقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بتوحيد رب العالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، الذين كانوا أعواناً له على الحق المتين.

وبعد: فلما كان علم التوحيد من أجل العلوم قدراً، وأشرفها فخراً، إذ عليه مدار الأحكام، وهو السبب بالفوز في دار السلام وكان من أجمع ما ألف فيه رسالة العالم الرباني، والهيكل الصمداني، نخبة السلف، وقدوة الخلف، أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، وكان فيما نعلم لم نر أحداً شرحها شرحاً يحل رموزها، ويستخرج كنوزها، وانتدب لذلك العالم الألمعي، والفاضل اللوذعي، ذو الفهم الثاقب، والرأي الصائب، مجمع الكمالات واللطائف، ومشكاة أنوار الهداية والمعارف، القائم بحقوق أشياخه بالأدب التام، والحائز بنور رضاهم أعلا درجة ومقام، الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني، بلغه الله الأماني، فشرحها شرحاً حاوياً للتعليل والدليل، خاوياً عن الحشو والتطويل، بين به مرادها، وتمم به مفادها، مرصعاً بدرر المسائل والنقول، معزواً كل لقائله من العلماء الفحول، ولقد من الله على هذا العبد الفقير بالنظر في طرفيه، وأقر بمطالعته عينيه، فتذكرت المواهب اللدنية والفتوحات المكية، ولا يعترض على هذا الناظر فكم ترك الأول للآخر، والمرجو من الله تعالى أن ينفع به وبمؤلفه على الدوام، وأن يمن عليه بحسن المبدأ والختام.

تحريراً نهار الاثنين خامس محرم سنة ١٢٦١هـ الفقير حسن بن إبراهيم البيطار غفر الله لهما آمين.

وهذه التقريظات أيضاً بقلم الحقير، والعاجز الفقير لرحمة ربه القدير عبد اللطيف بن الشيخ محمد الشاش عفا الله عنهما بمنه ويمنه آمين.

سند المحققين في رواية هذا الكتاب

تفضل شيخنا المرحوم الشيخ إبراهيم الفضلي الختني وهو عالم المدينة وثبتها المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ فأجازنا برواية هذا الكتاب وبسائر مصنفات العلامة الغنيمي وذلك بحق روايته عن كثير من العلماء من شاميين ومصريين ويمنيين وهنود وأتراك وبخاريين وغيرهم، منهم شيخه الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري اللكنوي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ، وهو صاحب الإثبات والمسلسلات المشهورة عن إمام الوقت وعالم المدينة المنورة محمد علي بن ظاهر الوتري المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ، عن مولانا الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني رحم الله الجميع وأعلى مقامهم في أعلى عليين.

محمد مطيع الحافظ **محمد رياض المالح**

سندنا في رواية هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أما بعد ،،،

يسعدنا في جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية أن نتشرف برواية متن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي وشرحها للشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني.

فنقول وبالله التوفيق نروي كتاب العقيدة الطحاوية بشرح الإمام الميداني عن شيخنا العلامة أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام المالكي مذهباً، وهو يرويه عن سيدي ومولاي أبو المكارم محمد الشاذُلي النايفر التونسي رحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه وهو يروي عن الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، عن الشيخ علي بن ظاهر الوتري، **عن الشيخ العلامة عبد الغني الميداني الحنفي الدمشقي (شارح متن العقيدة الطحاوية). ح**

ويرويه شيخنا أيضاً من طريق سيدي عبد الله بن الصديق الغماري وشقيقه سيدي عبد العزيز كليهما عن الشيخ عبد القادر شلبي الطرابلسي المدني الحنفي، عن الشيخ حبيب الرحمن الموسوي الكاظمي الهندي الحنفي، **عن الشيخ العلامة عبد الغني الميداني الحنفي الدمشقي (شارح متن العقيدة الطحاوية)**، وهو يروي عن الشيخ محمد أمين المشهور بابن عابدين الحنفي، عن الشمس محمد بن عبد الرحمن الكزبري، عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري، عن الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي المشهور بابن عقيلة، عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري الشافعي نزيل مكة المشرفة، عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي المصري الشافعي، عن الزين عبد الله بن محمد النحريري الحنفي، عن الجمال يوسف بن زكرياء، عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، عن أمير المؤمنين في الحديث أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، عن الشرف أبي الطاهر بن الكُوَيك ، عن زينب بنت المقدسية، عن محمد بن عبد الهادي، عن الحافظ أبي موسي محمد بن أبي بكر المَدِيني، عن أبي الفتح إسماعيل بن الفضل بن أحمد السراج، عن أبي الفتح منصور بن الحسين التالي، عن الحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي المُقْري، **عن الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي صاحب العقيدة الطحاوية.**

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر الميامين

وعلى من اهتدى بهديهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.